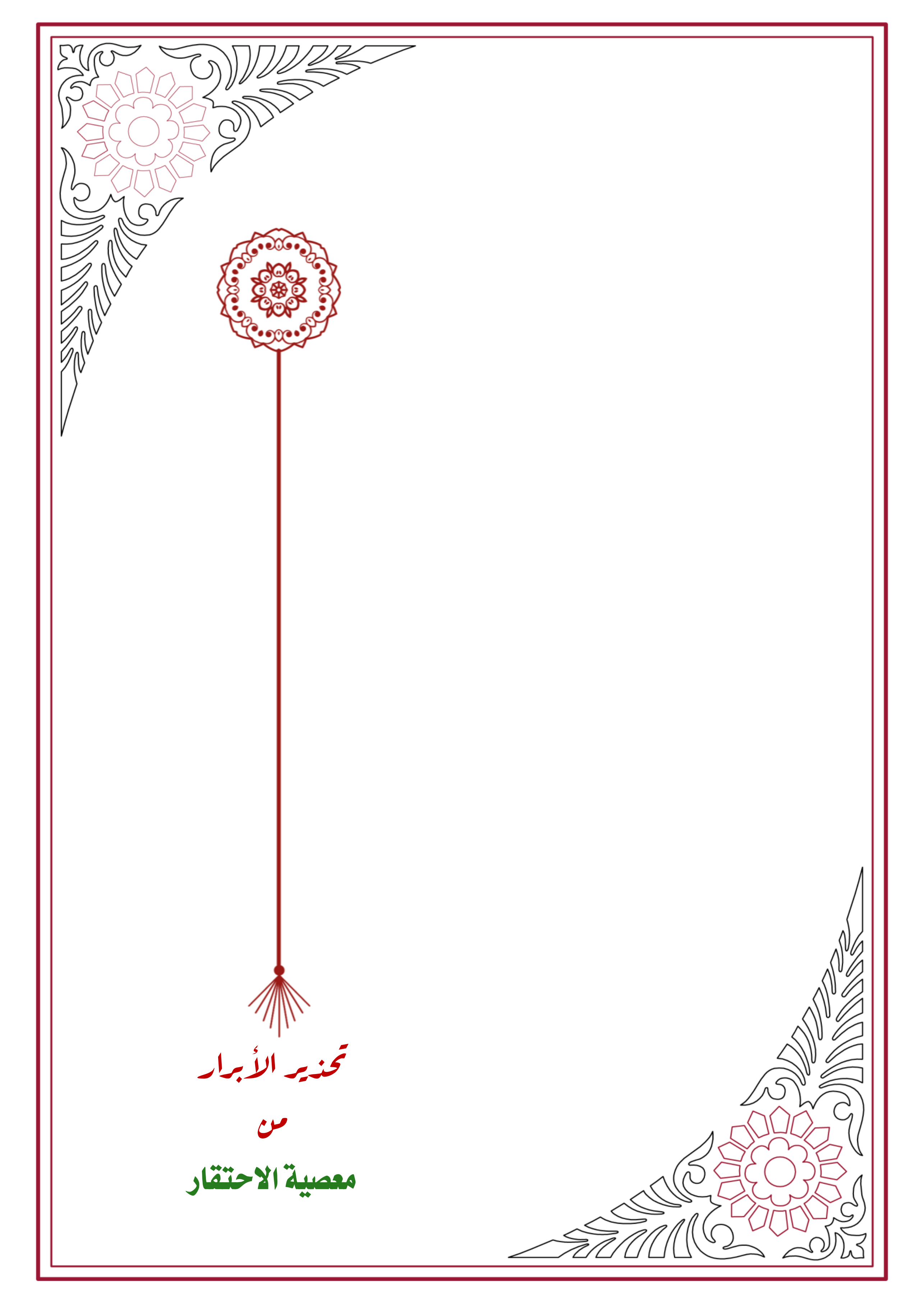


تحذير الأبرار

من

معصية الاحتقار

الطبعة الأولى

١٤٤٦ - ٢٠٢٤م





تحذير الأبرار

من

معصية الاحتقار

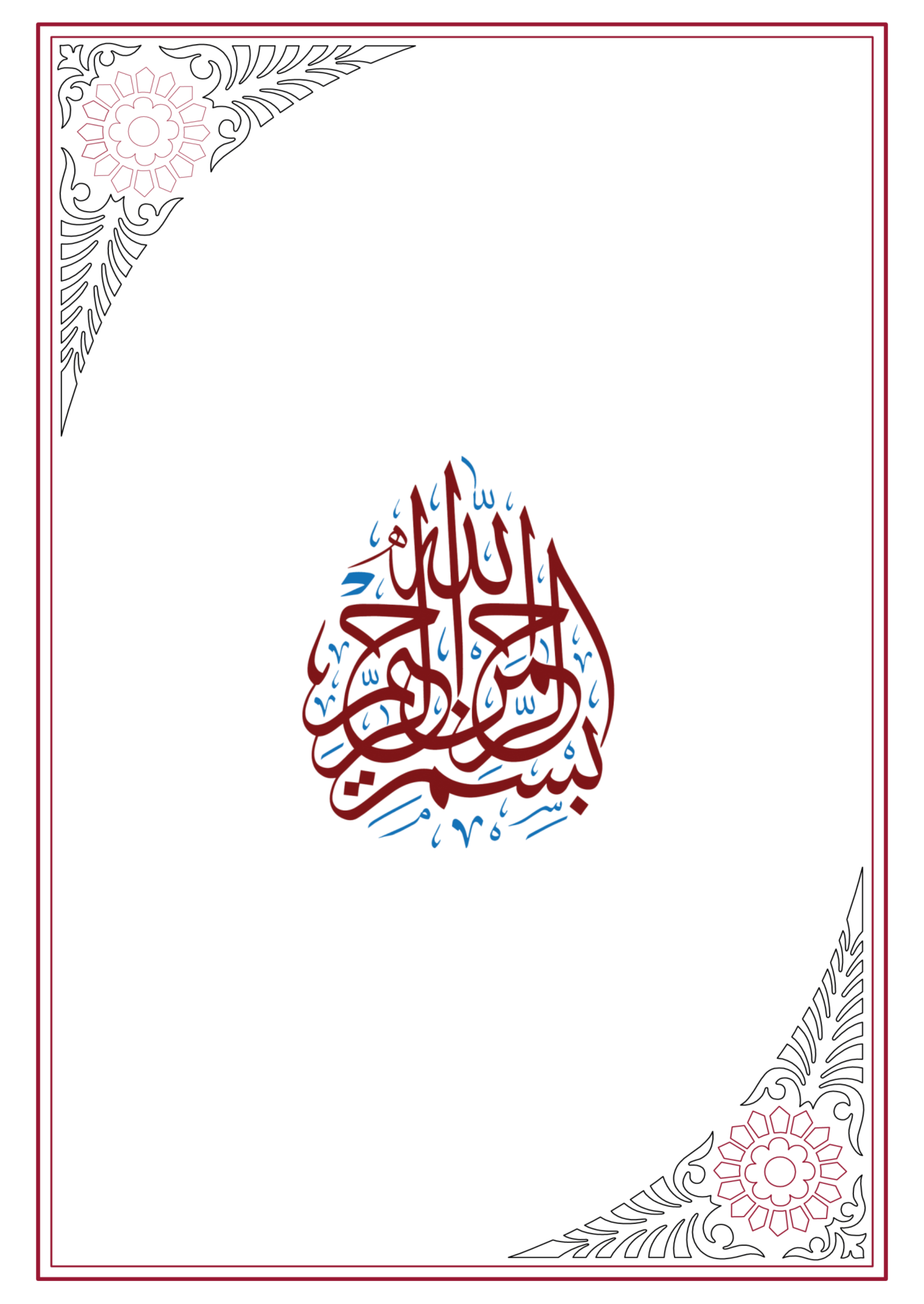




تأليف:

أبي الحسن موسى بن ثابت بن محمد المطري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧٠-٧٣].

أَمَّا بَعدُ:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالىٰ وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وبعد: فمع كتاب جديد وهو كتاب في (حرمة احتقار الآخرين) فقد عزمت بعد استخارة واستشارة علىٰ تأليف هذا الكتاب في هذا الموضوع، وذلك لأهميته البالغة ولحاجة الناس إليه عمومًا، وطلاب العلم وحملة الشريعة علىٰ وجهٍ أخص، فاحتقار الآخرين من شيم المتكبرين المتعالين علىٰ العباد الذي يرون أنفسهم فوق الجميع، وهم في الحقيقة دون ذلك؛ فإنك لو نظرت إلىٰ محتقرٍ لغيره لوجدته من أراذل الناس

حتىٰ في الخصلة التي احتقر غيره لأجلها، قد يفقدها في أغلب الأحيان.

إن احتقار الآخرين والتنقص منهم لعمل دنيء يجعل الله صاحبه هو المحتقر المهان، وإن طال به الزمان، فكم رأينا وسمعنا وقرأنا عن أناس كانوا أغنياء فاحتقروا بعض الفقراء فكان عاقبتهم إلىٰ الفقر والفاقة الشديدة، وكم سمعنا عن حافظ للقرآن والمتون وعن من نال من العلم أغلب الفنون، وسخر واستهزأ بغيره ممن هو دونه فكان عاقبة علمه إلىٰ الزوال، ومصيره إلىٰ الترك للعلم فيصير عدوا للعلم والعلماء محذرًا منهم شامتًا وساخرًا بهم بعد أن كان من كبارهم، فلا يغتر الشخص بعلمه وينظر إلىٰ غيره بعين الذل والازدراء؛ بل يحمد الله علىٰ ما منَّ عليه من علم ويتذكر سعة العلم وكثرة العلماء وينظر إلىٰ من هو فوقه ومن هو أكبر منه علمًا وقدرًا، ويكثر من القراءة في تراجم العلماء.

وهكذا لا يخفاك أخي القارئ الكريم ما يحصل من احتقار من ذوي البشرة البيضاء لذوي البشرة السوداء، وهذا منكر عظيم، وقد يحصل احتقار من ذوي البشرة السمراء إلىٰ ذوي البشرة البيضاء، وهذا قليل وكله منكر، كذلك احتقار: عمال النظافة والتنقص منهم والاستهزاء بهم وهضمهم حقوقهم وعدم المبالة بهم، ألا يعي المجتمع قول الله تعالىٰ ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]

لا تحقــرن مــن الأيــام محتقــرًا ... كلُّ امرئ سوف يجزىٰ بالـذي اكتسبا

وإن الأيام دول يوم لك ويوم عليك اليوم أنت في ستر وعز ومكنة، غدًا

تتقلب الأحوال وتتبدل الأمور، مع مضي الأيام يتغير الحال وتصير إلىٰ ما لا يحمد عقباه.

كذلك احتقار العمال البسطاء، وأخذ حقوقهم، وعدم المبالاة بهم، والتنقص منهم وإعطاءهم أبسط الأجور، تراه يكدح بالعامل من الفجر إلىٰ الليل ويعطيه مبلغًا زهيدًا، ويعطيه من الأكل الرديء، أو من بقايا الطعام، مستغلًا ظروفه المعيشية، كذلك أيضًا احتقار الباعة المتجولين في الطرقات، واحتقار الآخرين في طريقة كلامهم واحتقار آرائهم، واحتقار طعام الضعفاء والمساكين والسخرية والاستهزاء بطعامهم، وهذا لا يصدر إلا من حقير دنيء قليل المروءة سيء الأخلاق؛ إذ كيف يعترض علىٰ أمر الله مقسم الأرزاق بين عباده لو كان لهؤلاء الكثير من المال لأكلوا أطيب الطعام وألذّه؛ ولكنه الفقر والحاجة وقلة ذات اليد والتعفف عن ما في أيدي الناس، فلا يجوز احتقارهم ولا التنقص منهم، إذا كنت تفخر بجمالك فهنالك من هو أجمل منك، ومن أعجب بنفسه هلك رؤية الناس أقل منك جمالًا لا شيء فيه، إن أعطاك الله الجمال، ولكن رؤيتهم رؤية احتقار وازدراء وعُجب بنفسك وفخر وخيلاء، هذا هو المحرم المذموم ومن ثم تذكر أن جمالك إلىٰ زوال:

وافتكر في منتهىٰ حسن الذي أنت هواه تجد أمرًا جلل

وإن أعجبت بصوتك فهناك من هو أجمل منك صوتًا، قد يُعجب الشخص بصوته في القراءة ولا يدري المسكين أن هنالك من القراء من أصواتهم أجمل

بألف مرة من صوته، وإن أعجبت بعافيتك فهناك من هو أكثر منك عافية؛ بل بعضهم قد يسخر من المعاقين والمرضىٰ ويتباهىٰ بعافيته عليهم، ولا يدري المسكين أنه أضعف مخلوق، وإذا غضب الله عليه عاقبه بما سخر منه، وإن أعجبت بفصاحتك وقوة بيانك فهناك من هو أفصح منك، وكم رأينا وسمعنا عن فصحاء وخطباء نُجباء اغتروا فانتكسوا وضلوا، وإن اغتريت بمالك فهنالك من هو أغنىٰ منك، وإن أعجبت بجاهك فهناك من هو أعظم جاهًا منك، وإن أعجبتك وتفاخرت بمنصبك فهناك من هو فوقك لا يراك شيئًا.

أخي الكريم: إن من تواضع وهو في منصب رفيع أو عنده علم كثير... إلخ ازداد رفعة إلىٰ رفعته ومكانة سامية في قلوب الناس إلىٰ مكانته، ألا وإنه إن صدر الاحتقار للغير من طالب علم شرعي، أو من داعية وخطيب كان الأمر أشد والجرم أعظم والمنظر سيء والسمعة اسوء سمعة المحتقر إذ أنه كيف يليق بحامل للقرآن غير عامل بما فيه من أخلاق وشمائل وفضائل لا تخفىٰ عليه.

فينبغي علينا طلاب الشريعة أن نكون قدوة لغيرنا في كل شيء؛ فالصغيرة منا في أعين الناس كبيرة، لعظيم ما نحمل من القرآن والسنة، فإذا سخر بعضنا من بعض واحتقر بعضنا بعضًا صرنا أضحوكة بين العامة، ولم يُقبل منا ما نقول في المنابر وعلىٰ الكراسي، فالترك لنا ترك لما نحمل من شريعة الله، فنحن مبلغون عن الله تبارك وتعالىٰ، والأسوأ من ذلك أن يحتقر طالب العلم أحد

العامة إما لجهله أو لعيب خلقي، والأفضل فيمن ساءت أخلاقه من العامة مناصحته؛ فإن لم فتركه بدون هجر، بل تسلم عليه إذا لقيته ولا تكثر معه من الكلام حتىٰ لا يؤدي ذلك إلا المراء المذموم، والله الهادي إلىٰ سبيل الرشاد.

أهمية الموضوع

١- إن من ديننا الحنيف وشريعتنا السمحة الصافية النقية الخالية من شوائب الجاهلية تعظيم حق الإنسان، وعدم احتقاره والتنقص منه قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين:٤]، وقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء:٧٠]، ألا وإن احتقار الآخرين منافٍ لتعاليم ديننا الحنيف ومخالف للفطرة التي فطرنا عليها؛ فيجب الحذر منه ومجاهدة النفس علىٰ تركه.

٢- الكتاب والسنة مليئان بالحث علىٰ تعظيم حق الخلق، وأن السخرية منهم طريق الهلاك كما سيأتي.

٣- انتشار هذا المنكر العظيم (احتقار الآخرين) في أوساط الشباب المسلم؛ بل وفي أوساط بعض من يدعون العلم والثقافة.

٤- بيان موقف المسلم من هذه الظاهرة السيئة المنتشرة في الكتب والمجلات والمجالس وأماكن التجمعات وكيفية الحذر منها، وأسباب الوقاية التامة منها.

منهجي في الكتاب

بعد اختيار الموضوع أخذت أتتبع مادته المتناثرة في الكتب والدواوين؛

فبدأت بتعريف الاحتقار، ثم بالآيات القرآنية، ثم أتيت إلىٰ ما كتبه كبار المفسرين، ثم جمعت الأحاديث الصحيحة وبعض من شرحها لأئمة الإسلام الكبار، وذكرت قليلًا من القصص وتركت الكثير والكثير خشية الإطالة، والله الهادي إلىٰ سبيل الرشاد، ثم شرعت في الكتابة مراعيًا الأمور الآتية:

١- عزو الآيات القرآنية إلىٰ المصحف الشريف ذاكرًا رقم الآية واسم السورة.

٢- تخريج الأحاديث النبوية وعزوها إلىٰ مصادرها، وكالعادة إن كان الحديث في الصحيحين اكتفيت بهما أو بأحدهما، ذاكرًا الكتاب ورقم الحديث، وحكمت علىٰ الأحاديث في خارج الصحيحين، ناقلًا كلام أهل هذا الفن من المتقدمين والمتأخرين.

٣- قمت بإضافة كل قول إلىٰ قائله رجاء الحصول علىٰ البركة، وتجنب السرقة العلمية وعملًا بقول الإمام النووي: ومن النصيحة أن تضاف الفائدة التي تستغرب إلىٰ قائلها فمن فعل ذلك بورك له في علمه وحاله، ومن أوهم ذلك وأوهم فيما يأخذه من كلام غيره أنه له؛ فهو جدير أن لا ينتفع بعلمه، ولا يبارك له في حال، ولم يزل أهل العلم والفضل علىٰ إضافة الفوائد إلىٰ قائلها نسأل الله تعالىٰ التوفيق لذلك دائمًا، وإتقانه[١]، وعن محمد الباقر عن آبائه:

---

(١) "بستان العارفين" ص١٦.

سرقة صحف العلم مثل سرقة الدنانير والدراهم.[١] وقد كان عنوان هذا الكتاب "تحذير المؤمنين الأبرار من معصية السخرية والاحتقار"، فعدَّلت العنوان إلىٰ "تحذير الأبرار من معصية الاحتقار؛ لأن السخرية يحتاج لها إلىٰ مؤلف منفرد مع تقاسيمها المهمة وتفاصيلها المتفرعة، ثم إنك قد تجد في كتابي هذا بعض الآثار والآيات في السخرية للحاجة، ولتتمة الفائدة، ولأن المعنىٰ متقارب جدًا.

وكتبه:

أبو الحسن موسى بن ثابت بن محمد المطري العتمي

غفر الله له ولوالديه ولمشائخه.

(١) "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع"١/ ٢٤٢ و"الكامل في الضعفاء" ص٩٨.

تعريف الاحتقار:

استحقر يستحقر استحقارًا، فهو مستحقر والمفعول مستحقر استحقر الشيء: حقره، استحقره، استهان به ونظر إليه نظرة ازدراء، لا تستحقر من هو أصغر منك سنًا أو أدنىٰ منك منصبًا.(١)

تعريف الازدراء: ازدريت ازدرىٰ بيزدري ازدراءً، فهو مزدرٍ والمفعول: مُزَدْرىٰ ازدرىٰ خصمه ازدرىٰ بخصمه: حقَّره واستخف به "نظر الحاضرون إلىٰ المتهم بازدراء -ازدرته عيني: احتقرته- الازدراء أقسىٰ أنواع التأديب (مثل):

تـرىٰ الرجـل النحيـف فتزدريـه — وفي أثوابـه أسـد جَسُـور

﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ﴾ [هود: ٣١](٢)

حقر: الحقير: الصغير الذليل تقول منه حقر بالضم واستحقره: استصغره وتحاقرت إليه نفسه: تصاغرت، والتحقير: التصغير والمحقرات: الصغائر ويقال: هذا الأمر محقرة بك أي حقارة.(٣)

وقال ابن منظور: سخر: سَخِرَ مِنْهُ وَبِهِ سَخْراً وسَخَراً ومَسْخَراً وسُخْراً، بِالضَّمِّ، وسُخْرَةً وسِخْرِيّا وسُخْرِيّا وسُخْرِيَّة: هَزِئَ بِهِ؛ وَيُرْوَىٰ بَيْتُ أَعشىٰ بَاهِلَةَ

(١) "معجم اللغة العربية المعاصرة" لأحمد مختار عمر١/ ٥٢٩.

(٢) "معجم اللغة العربية المعاصرة" لأحمد مختار عمر٢/ ٩٨٣.

(٣) "الصحاح" للجوهري ص١٠٦٩.

عَلَىٰ وَجْهَيْنِ:

إِني أَتَتْنِـي لِسَـانٌ، لَا أُسَـرُّ بِهَـا ... مِنْ عَلْوَ، لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سُخْرُ

وَيُرْوَىٰ: وَلَا سَخَرُ، قَالَ ذَلِكَ لَمَّا بَلَغَهُ خَبَرُ مَقْتَلِ أَخيه الْمُنْتَشِرِ، والتأْنيث لِلْكَلِمَةِ.

قَالَ الأَزهري: وَقَدْ يَكُونُ نَعْتًا كَقَوْلِهِمْ: هُم لَكَ سُخْرِيٌّ (سِخْرِيٌّ) وسُخْرِيَّةٌ (سِخْرِيَّةٌ)، مَنْ ذكَّر قَالَ سُخْرِيًّا (سِخْرِيًّا)، وَمَنْ أَنث قَالَ سُخْرِيَّةً (سِخْرِيَّةً). الْفَرَّاءُ: يُقَالُ سَخِرْتُ مِنْهُ، وَلَا يُقَالُ سَخِرْتُ بِهِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات:١١] وسَخِرْتُ مِنْ فُلَانٍ هِيَ اللُّغَةُ الفصيحةُ. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة:٧٩] وَقَالَ: ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ [هود:٣٨]؛ وَقَالَ الرَّاعِي:

تَغَيَّـرَ قَـوْمِي وَلَا أَسْـخَرُ ... وَمَـا حُـمَّ مِـنْ قَـدَرٍ يُقْـدَرُ

قَوْلُهُ أَسخَرُ أَي لَا أَسخَرُ مِنْهُمْ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَوْ سَخِرْتُ مِنْ رَاضِعٍ لَخَشِيتُ أَن يَجُوزَ بِي فِعْلُهُ، قال الْجَوْهَرِيُّ: حَكَىٰ أَبو زَيْدٍ سَخِرْتُ بِهِ، وَهُوَ أَرْدَأُ اللُّغَتَيْنِ. وَقَالَ الأَخفش: سَخِرْتُ مِنْهُ وسَخِرْتُ بِهِ، وضَحِكْتُ مِنْهُ وَضَحِكْتُ بِهِ، وهَزِئْتُ مِنْهُ وهَزِئْتُ بِهِ؛ كلٌّ يُقَالُ، وَالِاسْمُ السُّخْرِيَّةُ والسُّخْرِيُّ والسِّخْرِيُّ، وَقُرِئَ بِهِمَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف:٣٢].(١)

وقال الجوهري: (سخر) سخرت منه أسخر سخرا بالتحريك، ومسخرًا

---

(١) "لسان العرب" ٤/ ٣٥٢-٣٥٣.

وسخرًا بالضم. قال أعشىٰ باهلة: إني أتتني لسان لا أسر بها...من علو لا عجب منه ولا سخر. والتأنيث للكلمة وكان قد أتاه خبر مقتل أخيه المنتشر، وحكىٰ أبو زيد: سخرت به ، وهو أراد اللغتين، وقال الأخفش: سخرت منه وسخرت به، وضحكت منه وضحكت به، وهزئت منه وهزئت به.(١)

قال المناوي: استزراء العقل معنىٰ بمنزلة الاستنخار في الفعل حسا، ذكره الحرالي، وقال ابن الكمال: السخرية والهزء من شيء يحق عند صاحبه ولا يحق عند الهازئ.(٢)

وفي "الموسوعة الفقهية الكويتية"١٠/ ٢٢٩: مِنْ مَعَانِي التَّحْقِيرِ فِي اللُّغَةِ: الإِْذْلاَل وَالاِمْتِهَانُ وَالتَّصْغِيرُ. وَهُوَ مَصْدَرُ حَقَّرَ، وَالْمُحَقَّرَاتُ: الصَّغَائِرُ. وَيُقَال: هَذَا الأَْمْرُ مَحْقَرَةٌ بِكَ: أَيْ حَقَارَةٌ. وَالْحَقِيرُ: الصَّغِيرُ الذَّلِيل. تَقُول: حَقَّرَ حَقَارَةً، وَحَقَّرَهُ وَاحْتَقَرَهُ وَاسْتَحْقَرَهُ: إِذَا اسْتَصْغَرَهُ وَرَآهُ حَقِيرًا. وَحَقَّرَهُ: صَيَّرَهُ حَقِيرًا، أَوْ نَسَبَهُ إِلَىٰ الْحَقَارَةِ، وَحَقَّرَ الشَّيْءَ حَقَارَةً: هَانَ قَدْرُهُ فَلاَ يَعْبَأُ بِهِ، فَهُوَ حَقِيرٌ . وَهُوَ فِي الاِصْطِلاَحِ لاَ يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْحُكْمُ الإِْجْمَالِيُّ: لِلتَّحْقِيرِ أَحْكَامٌ تَعْتَرِيهِ؛ فَتَارَةً يَكُونُ حَرَامًا مَنْهِيًّا عَنْهُ: كَمَا فِي تَحْقِيرِ الْمُسْلِمِ لِلْمُسْلِمِ اسْتِخْفَافًا بِهِ وَسُخْرِيَةً مِنْهُ وَامْتِهَانًا لِكَرَامَتِهِ.

قال ابن حجر الهيتمي: السخرية: الاستحقار والاستهانة والتنبيه علىٰ

---

(١) "الصحاح"٢/ ٦٧٩.

(٢) "التوقيف" ص١٩٢.

العيوب والنقائص يوم يضحك منه، وقد يكون بالمحاكاة بالفعل أو القول أو الإشارة أو الإيماء أو الضحك علىٰ كلامه إذا تخبط فيه أو غلط، أو علىٰ صنعته أو قبيح صورته.[١]

(١) "الزواجر عن اقتراف الكبائر"٢/ ٢٢.دار المعرفة.

الآيات الواردة في ذم السخرية

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١]

قال ابن جرير يقول: ولا يهزأ نساء مؤمنات من نساء مؤمنات، عسى المهزوء منهن أن يكن خيرًا من الهازئات.(١)

قال عكرمة: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات:١١] قال: يقول: الرجل للرجل: يا فسق يا كافر. حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعًا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله:﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات:١١]يقول: لا تقل لأخيك المسلم: ذاك فاسق ذاك منافق نهى الله المسلمين عن ذلك وقدم فيه. حدثنا ابن عبد الأعلى قال: ثنا محمد بن ثور عن معر عن قتادة: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات:١١] يقول: (لا تقل لأخيك) المسلم: يا فاسق يا منافق حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات:١١] قال: تسميته بالأعمال السيئة بعد الإسلام زان فاسق وقال آخرون:

---

(١) "جامع البيان" للطبري٢٣/ ١٣٠، ١٣١.

بل ذلك تسمية الرجل الرجل بالكفر بعد الإسلام وبالفسوق.(١)

قال قتادة وعكرمة هو قال الرجل للرجل: يا فاسق يا منافق يا كافر، وقال الحسن: كان اليهودي والنصراني يسلم، فيقال له بعد إسلامه: يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك.(٢)

قال القرطبي عند قوله: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ:﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات:١١] النَّبَزُ (بِالتَّحْرِيكِ) اللَّقَبُ، وَالْجَمْعُ الْأَنْبَازُ. وَالنَّبْزُ (بِالتَّسْكِينِ) الْمَصْدَرُ، تَقُولُ: نَبَزَهُ يَنْبِزُهُ نَبْزًا، أَيْ لَقَّبَهُ. وَفُلَانٌ يُنَبِّزُ بِالصِّبْيَانِ أَيْ يُلَقِّبُهُمْ، شَدَّدَ لِلْكَثْرَةِ. وَيُقَالُ النَّبَزُ وَالنَّزَبُ لَقَبُ السُّوءِ. وَتَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ: أَيْ لَقَّبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَبِي جُبَيْرَةَ بْنِ الضَّحَّاكِ قال: كان الرجل منا يكون له الاسمين وَالثَّلَاثَةُ فَيُدْعَىٰ بِبَعْضِهَا فَعَسَىٰ أَنْ يَكْرَهَ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾ [الحجرات:١١]. قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَأَبُو جُبَيْرَةَ هَذَا هُوَ أَخُو ثَابِتِ بْنِ الضَّحَّاكِ بْنِ خَلِيفَةَ الْأَنْصَارِيِّ. وَأَبُو زَيْدٍ سَعِيدُ بْنُ الرَّبِيعِ صَاحِبُ الْهَرَوِيِّ ثِقَةٌ. وَفِي مُصَنَّفِ أَبِي دَاوُدَ عَنْهُ قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، فِي بَنِي سَلَمَةَ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات:١١] قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَيْسَ مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا وَلَهُ اسْمَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ يَا فُلَانُ فَيَقُولُونَ مَهْ يَا

---

(١) "تفسير الطبري"٢١/ ٣٧٠.و"تفسير مجاهد"ص٦١١.

(٢) انظر تفسير القرآن" لعبد الرزاق٢٣٢/ ٣"جامع البيان" للطبري١٢٣/ ٢٦"معالم التنزيل"للبغوي٧/ ٣٤٣"الجامع لأحكام القرآن" للقرطبي١٦/ ٣٢٨.

رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا الِاسْمِ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات:١١]. فَهَذَا قَوْلٌ. وَقَوْلٌ ثَانٍ- قَالَ الْحَسَنُ وَمُجَاهِدٌ: كَانَ الرَّجُلُ يُعَيَّرُ بَعْدَ إِسْلَامِهِ بِكُفْرِهِ يَا يَهُودِيُّ يَا نَصْرَانِيُّ، فَنَزَلَتْ. وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ وَأَبِي الْعَالِيَةِ وَعِكْرِمَةَ. وَقَالَ قَتَادَةُ: هُوَ قَوْلُ الرَّجُلِ لِلرَّجُلِ يَا فَاسِقُ يَا مُنَافِقُ. وَقَالَهُ مجاهد والحسن أيضا.﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ [الحجرات:١١] أي بئس أن يسمىٰ الرجل كافرا أو زانيا بعد إسلامه وتوبته، قاله ابن زيد. وقيل: المعنىٰ أن من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق. وفي الصحيح: من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه فمن فعل ما نهىٰ الله عنه من السخرية والهمز والنبز فذلك فسوق، وذلك لا يجوز. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فنازعه.(١)

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: قال تعالىٰ:﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات:١١] أي لا ينبز بعضكم بعضا باللقب فتقول له مثلًا: يا فاسد يا فاجر يا شارب الخمر! يا سارق! يا زان! لا تفعل هذا لأنك إذا نبزته باللقب، فإما أن يكون اللقب فيه، وإما ألا يكون فيه إن كان فيه فقد ارتكبت هذا النهي، وإن لم يكن فيه فقد بهته وارتكبت النهي أيضًا.(٢)

وقدم سؤال للجنة الدائمة من الفتوىٰ رقم(٢٠١٤٥): ما معنىٰ التنابز بالألقاب؟

---

(١) "الجامع لأحكام القرآن"١٦/ ٣٢٨.

(٢) "لقاء الباب المفتوح"ص١١٩.

الجواب: التنابز بالألقاب المنهي عنه في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات:١١] هو: أن يعير المسلم أخاه المسلم، ويدعوه بما يكرهه من الأسماء والصفات.(١)

- قال ابن عثيمين عند قوله: قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات:١١] فوجه الله الخطاب إلىٰ المؤمنين { يا أيها الذين آمنوا } وتوجيه الخطاب للمؤمن يدل علىٰ أن ما يتلىٰ عليه فهو من مقتضيات الإيمان، وأن فقده ومخالفته نقص في الإيمان، كما أن تصدير الحكم بالنداء يدل علىٰ الاهتمام به؛ لأن النداء يعني تنبيه المخاطب لما يلقي إليه، يقول: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات:١١] وهم الرجال ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ﴾ [الحجرات:١١] وهن النساء الآيات، والسخرية قد تكون في هيئته، يسخر من هيئة هذا الرجال، وقد يكون كذلك في خلقته، يسخر من خلقته قصرا أو طولا أو ضخامة أو نحافة أو ما أشبه ذلك ويكون كذلك سخرية بكلامه وتقليد كلامه، استهزاء وسخرية، كما يفعل بعض السفهاء، يقلد بعض القراء أو بعض العلماء، يقلد أصواتهم سخرية واستهزاء والعياذ بالله، ويكون كذلك في المعاملة يسخر به في معاملته الناس وكذلك بالمشية، المهم إن كل شيء فيه سخرية في أخيك فإنه داخل في هذه الآية ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا

---

(١) "فتاوىٰ اللجنة الدائمة"٢٦/ ٢٧.

﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات:١١] وبين الله عز وجل أنه ربما يكون هؤلاء الذين سخروا منهم. ربما يكونون خيرا منهم عند الله وعند عباد الله، ولهذا قال: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجرات:١١] هذا في القوم ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات:١١] هذا في النساء ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات:١١] أي لا تعيبوها، وقول ﴿أَنفُسَكُمۡ﴾ من المعلوم أن الإنسان لن يعيب نفسه، لكنه لما كان المؤمنون أخوة، صار أخوك كنفسك، فقوله: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات:١١] يعني لا تلمزوا إخوانكم، لكنه عبر بالنفس ليتبين أن أخوك بمنزلة نفسك فكما أنك تكره أن تلمز نفسك، تكره أن تلمز أخاك ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات:١١] ينبز بعضكم بعضا باللقب، سخرية به، إما أن يكون مثلا يعزي إلىٰ قبيلة فيها شيء من اللقب المكروه، فينسبه إليها أو قبيلة فيها شيء من اللقب المضحك فينسبه إليها وما أشبه ذلك مما يكون نبذا بالألقاب، ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [الحجرات:١١] يعني إنكم إن فعلتم ذلك كنتم من الفاسقين و ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [الحجرات:١١] فالإنسان إذا لمز أخاه أو سخر منه أو ما أشبه ذلك، فإنه يكون بذلك فاسقا وهذا يدل علىٰ أن السخرية من المؤمنين وأن لمزهم وأن منابزتهم بالألقاب كلها من كبائر الذنوب ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾ [الحجرات:١١] يعني من استمر علىٰ هذا ولم يتب إلىٰ الله عز وجل فإنه ظالم، ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ آية أخرىٰ وهي ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾

[الهمزة:١] وويل هذه كلمة وعيد جاءت في القرآن في عدة مواضع، وكلها تفيد الوعيد والتهديد على من فعل هذا، ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ [الهمزة:١] أي يعيب غيره، تارة بالهمز وتارة باللمز، فاللمز باللسان، والهمز بالجوارح، فالهمزة اللمزة متوعد بهذا، بالويل والعياذ بالله، ثم ذكر المؤلف أحاديث يأتي الكلام عليها إن شاء الله وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم رواه مسلم، وقد سبق قريبا بطوله. وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا، ونعله حسنة؟، فقال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس. رواه مسلم، ومعنى بطر الحق: دفعه وغمطهم: احتقارهم.(١)

وقال تعالى: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾ [القلم: ١١-١٢] قال ابن كثير: أي يحتقر الناس ويهمزهم طاغيًا عليهم.

- قال ابن كثير: يَنْهَى تَعَالَى عَنِ السُّخْرِيَةِ بِالنَّاسِ، وَهُوَ احْتِقَارُهُمْ وَالِاسْتِهْزَاءُ بِهِمْ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: الكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وغَمْص النَّاسِ. وَيُرْوَى: وَغَمْطُ النَّاس. وَالْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ: احْتِقَارُهُمْ وَاسْتِصْغَارُهُمْ، وَهَذَا حَرَامٌ، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمُحْتَقَرُ أَعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَ اللهِ وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ السَّاخِرِ مِنْهُ الْمُحْتَقِرِ لَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ

---

(١) "شرح رياض الصالحين"٦/ ٢٥٨-٢٥٩.

عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات:١١] ، فَنَصَّ عَلَىٰ نَهْيِ الرِّجَالِ وَعَطَفَ بِنَهْيِ النِّسَاءِ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات:١١] أَيْ: لَا تَلْمِزُوا النَّاسَ. والهمَّاز اللَّماز مِنَ الرِّجَالِ مَذْمُومٌ مَلْعُونٌ، كَمَا قَالَ (تَعَالَىٰ): ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١﴾ [الهمزة:١] (الْهُمَزَة: ١)، فَالْهَمْزُ بِالْفِعْلِ وَاللَّمْزُ بِالْقَوْلِ، كَمَا قَالَ: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١﴾ [القلم:١١] أَيْ: يَحْتَقِرُ النَّاسَ وَيَهْمِزُهُمْ طَاعِنًا عَلَيْهِمْ، وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالنَّمِيمَةِ وَهِيَ: اللَّمْزُ بِالْمَقَالِ؛ وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات:١١] ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ [النساء:٢٩] أَيْ: لَا يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا .قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَقَتَادَةُ، وَمُقَاتِلُ بْنُ حَيَّانَ: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات:١١] أَيْ: لَا يَطْعَنْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ. وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات:١١] أَيْ: لَا تَتَدَاعَوْا بِالْأَلْقَابِ، وَهِيَ الَّتِي يَسُوءُ الشَّخْصَ سَمَاعُهَا. قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدٍ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو جبيرة بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ فِي بَنِي سَلِمَةَ: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات:١١] قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ فِينَا رَجُلٌ إِلَّا وَلَهُ اسْمَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ، فَكَانَ إِذَا دُعِيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِاسْمٍ مِنْ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا. فَنَزَلَتْ: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات:١١] وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ مُوسَىٰ بْنِ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ وُهَيبٍ، عَنْ دَاوُدَ، بِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [الحجرات:١١] أَيْ: بِئْسَ الصِّفَةُ وَالِاسْمُ

الْفُسُوقُ وَهُوَ: التَّنَابُزُ بِالْأَلْقَابِ، كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَنَاعَتُونَ، بَعْدَمَا دَخَلْتُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَعَقَلْتُمُوهُ، ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ﴾ [الحجرات:١١].(١)

قال النسفي: هماز: عياب طعان مغتاب مشاء بنميم نقَّال للحديث من قوم إلىٰ قوم علىٰ وجه السعاية والإفساد بينهم والنميم والنميمة السعاية.(٢)

وكما قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ١١﴾ [القلم:١١] وقال: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة:٥٨] والهمز أشد لأن الهمز الدفع بشدة، فالهمز مثل الطعن لفظًا ومعنىٰ واللمز كالذم والعيب وإنما ذم من يكثر الهمز واللمز فإن الهمزة واللمزة هو الذي يفعل ذلك كثيرًا، وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ٢﴾ [الهمزة:٢] وصفه بالطعن في الناس، والعيب لهم، وبجمع المال وتعديده، وهذا نظير قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد:٢٣].

في الحديد ونظيرها في المعنىٰ في النساء فإن الهمزة اللمزة يشبه المختال الفخور والجمَّاع المحصي نظير البخيل، وكذلك نظيرهما قوله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾ [القلم:١١-١٢].

وصفه بالكبر والبخل(٣).

---

(١) "تفسير ابن كثير"٧/ ٣٧٦.

(٢) " تفسير النسفي"٣/ ٢٥٠.

(٣) "كتاب "تقريب فتاوىٰ ابن تيمية"٢/ ٤٤٠

قلت: ولا شك أن المتكبر مستحقر لمن حوله متنقص منهم كما في الحديث: الكبر بطر الحق أي رده وغمط الناس أي استحقارهم والترفع عليهم ورؤيته فوقهم خَلقًا وخُلقًا ومالًا وفي الحقيقة هو دون ذلك لكن الله ابتلاه بالتعالي على الخلق.

- قال الكتاني في "تفسيره" والسخرية الهزء والتحقير، فقوله: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات:١١]، أي: فئة من الرجال بفئة أخرى من الرجال ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات:١١]، أي: عسى أن يكون أولئك الساخرون أحقر من أولئك فهم الأجدر بأن يهزأ بهم، وأن يسخر بهم، وأولئك الذين سخر منهم أكرم عند الله وأشرف وأتقى من هؤلاء البغاة الظالمين المستهزئين المنتقصين لإخوانهم المسلمين ولذلك كان الهزء بالمسلم كبيرة من الكبائر ولم يتب إلى الله يوشك أن يأخذه الله، ويوشك أن يعود ما هزئ به عليه، ويصبح مكان هزء الناس واحتقارهم[١].

وقال الماوردي: وفي هذه السخرية المنهي عنها قولان: أحدهما: أنه استهزاء الغني بالفقير إذا سأله.

قاله مجاهد الثاني: أنه استهزاء المسلم بمن أعلن فسقه.

قاله ابن زيد ويحتمل ثالثـًا: أنه استهزاء الدهاة بأهل السلامة.

---

(١) تفسير الكتاني ٣/ ٥٥٣.

﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجرات:١١] عند الله تعالىٰ. ويحتمل: خيراً منهم معتقداً وأسلم باطنًا، ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات:١١]، ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات:١١] فيه وجهان: أحدهما: ولا تلمزوا أهل دينكم. الثاني: لا تلمزوا بعضكم بعضًا: واللمز: العيب. وفي المراد به هنا ثلاثة أوجه: أحدها: لا يطعن بعضكم علىٰ بعض ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد ابن جبير. الثاني: لا تختالوا فيخون بعضكم بعضًا ، قاله الحسن. الثالث: لا يلعن بعضكم بعضًا ، قاله الضحاك. ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات:١١] في النبز وجهان: أحدهما: أنه اللقب الثابت، قاله المبرد. الثاني: أن النبز القول القبيح، وفيه هنا أربعة أوجه: أحدها: أنه وضع اللقب المكروه علىٰ الرجل ودعاؤه به. قال الشعبي: روي أن وفد بني سليم قدموا علىٰ النبي ﷺ وللرجل منهم اسمان وثلاثة فكان يدعوا الرجل بالاسم فيقال إنه يكره هذا، فنزلت هذه الآية.(١)

وقال الطبري: الله عم بنهيه المؤمنين عن أن يسخر بعضهم من بعض جميع معاني السخرية، فلا يحل لمؤمن أن يسخر من مؤمن لا لفقره ولا لذنب ركبه، ولا لغير ذلك.(٢)

وقال النسفي: وقوله تعالىٰ: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) قد بينَّا أن السورة في الأمر بمكارم الأخلاق، وإن معتادًا في أكثر العرب في النظراء

(١) "النكت والعيون"٥/ ٣٣٢.

(٢) "جامع البيان"٢٢/ ٢٩٨.

التفاخر بالأنساب، والاستهزاء والسخرية والاستخفاف، وكان أكثر مشركي العرب يترفعون علىٰ فقراء المسلمين.(١)

-قال مجاهد في قوله: ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ [الحجرات:١١] لا يستهزئ قوم بقوم، يقول: أن يكن رجلًا غنيًا أو فقيرًا أن يفضل عليه رجل بشيء لا يستهزئ به.(٢)

- وقال ابن الجوزي: قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ [الحجرات:١١] هذه الآية نزلت علىٰ ثلاثة أسباب فأما أولها إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ فنزلت علىٰ سبب، وفيه قولان:

أحدهما: أن ثابت بن قيس بن شمَّاس جاء يومـًا يريد الدّنوّ من رسول الله ﷺ، وكان به صمم، فقال لرجل بين يديه: افسح، فقال له الرجل: قد أصبتَ مجلسـًا، فجلس مُغْضَبـًا، ثم قال للرجل: من أنت؟ قال: أنا فلان، فقال ثابت: أنت ابن فلانة!! فذكر أمّـًا له كان يعيَّر بها في الجاهلية، فأغضىٰ الرجل ونكَسَ رأسَه، ونزل قوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجرات:١١]، قاله أبو صالح عن ابن عباس.

والثاني: أن وفد تميم استهزءوا بفقراء أصحاب رسول الله ﷺ لِما رأوا من

(١) "التيسير في التفسير"٣/ ٥٠٧.

(٢) "تفسير مجاهد بن جبر"ص٦١١.

رثاثة حالهم، فنزلت هذه الآية، قاله الضحاك ومقاتل.(١)

- قال الإمام الشنقيطي: قَوْلُهُ: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات:١١] أَيْ: لَا يَسْتَخِفُّوا وَلَا يَسْتَهْزِئُوا بِهِمْ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: سَخِرَ مِنْهُ بِكَسْرِ الْخَاءِ، يَسْخَرُ بِفَتْحِ الْخَاءِ عَلَى الْقِيَاسِ، إِذَا اسْتَهْزَأَ بِهِ وَاسْتَخَفَّ. وَقَدْ نَهَى اللهُ - جَلَّ وَعَلَا - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ عَنِ السُّخْرِيَةِ مِنَ النَّاسِ، مُبَيِّنًا أَنَّ الْمَسْخُورَ مِنْهُ قَدْ يَكُونُ خَيْرًا مِنَ السَّاخِرِ. وَمِنْ أَقْبَحِ الْقَبِيحِ اسْتِخْفَافُ الدَّنِيءِ الْأَرْذَلِ بِالْأَكْرَمِ الْأَفْضَلِ، وَاسْتِهْزَاؤُهُ بِهِ. وَمَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنَ النَّهْيِ عَنِ السُّخْرِيَةِ جَاءَ ذَمُّ فَاعِلِهِ وَعُقُوبَتُهُ عِنْدَ اللهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة:٧٩]. وَقَدْ بَيَّنَ تَعَالَى أَنَّ الْكُفَّارَ الْمُتْرَفِينَ فِي الدُّنْيَا كَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْ ضِعَافِ الْمُؤْمِنِينَ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ أُولَئِكَ يَسْخَرُونَ مِنَ الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة:٢١٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [المطففين:٢٩-٣٠]. إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ

(١) "زاد المسير" ٤/ ١٤٨.

﴿يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٣٦﴾ [المطففين:٣٤-٣٦].(١)

-قال الواحدي في قوله تعالىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ [الحجرات:١١] الآية نهىٰ الله تعالىٰ المؤمنين والمؤمنات أن يسخر بعضهم من بعض﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ﴾ [الحجرات:١١] أي المسخور منه ﴿خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّ﴾ من الساخر ومعنىٰ السخرية ها هنا الازدراء والاحتقار،﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات:١١] لا يعب بعضكم بعضًا ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات:١١] وهو أن يدعىٰ الرجل بلقبٍ يكرهه نهىٰ الله تعالىٰ عن ذلك ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [الحجرات:١١] يعني: أن السخرية واللمز والتنابز فسوق بالمؤمنين وبئس ذلك بعد الإيمان.(٢)

-قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: ثم قال الله - عز وجل - في جملة ما بيّن لعباده من الآداب والأخلاق الفاضلة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ [الحجرات:١١]. السخرية: هي الاستهزاء والازدراء، ومن المعلوم أن الله تعالىٰ جعل الناس في هذه الحياة الدنيا طبقات، فقال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ﴾ [الزخرف:٣٢] أي: ليسخِّر بعضهم بعضاً في المصالح، وليس المراد هنا الاستهزاء، وقال الله تبارك

(١) " أضواء البيان"٧/ ٦٦٦.

(٢) "الوجيز"ص١٠١٨.

وتعالىٰ: ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾ [الإسراء:٢١].

إذا ثبت هذا التفضيل بين الناس فهم يتفاضلون في العلم، فبعضهم أعلم من بعض في علوم الشريعة، وعلوم الوسيلة إلىٰ علوم الشريعة كعلوم اللغة العربية من النحو والبلاغة وغيرها، وهم يتفاضلون في الرزق، فمنهم من بسط له في رزقه، ومنهم من قَدَرَ عليه في رزقه، وهم يتفاضلون في الأخلاق، فمنهم ذوو الأخلاق الفاضلة العالية، ومنهم دون ذلك، وهم يتفاضلون في الخلقة، منهم السوي الخلقة، ومنهم من دون ذلك، ويتفاضلون كذلك في الحسب، منهم من هو ذو حسب ونسب، ومنهم دون ذلك، فهل يجوز لأحد أن يسخر ممن دونه؟ يقول الله –عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ [الحجرات:١١] فيخاطبنا –جل وعلا– بوصف الإيمان، وينهانا أن يسخر بعضنا من بعض؛ لأن المفضِّل هو الله – عز وجل – وإذا كان هو الله لزم من سخريتك بهذا الشخص الذي هو دونك أن تكون ساخراً بتقدير الله – عز وجل.[١]

وقال ابن الفرس: ويسخر معناه يستهزئ فأمر الله تعالىٰ في هذه الآية بترك الاستهزاء ودعا إلىٰ مكارم الأخلاق، وكذلك ما بعدها من الآيات إنما هي أمر بمكارم الأخلاق ودعا إلىٰ حسن الأدب.[٢]

---

(١) "تفسير سورة الحجرات"ص٣٧.

(٢) "أحكام القرآن"٣/ ٤٩٣.

وقال الإمام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حرمة السخرية:

الأولىٰ: السخرية من الرجال بعضهم ببعض أو النساء، وأن الواجب علىٰ المؤمن أن يحذر السخرية من أخيه والاستهزاء بأخيه، فربما كان المستهزئ الساخر المتنقص، وهكذا النساء مع بعضهن، ولهذا قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ذكرهم بالإيمان الذي يجب أن يمنعهم مما حرم الله ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجرات:١١] لا تسخر من فقره أو دمامته أو عرجه أو غير هذا من الأسباب، وكذلك المرأة لا تسخر من أختها ولا من أخيها، بل يجب علىٰ المؤمن أن يشكر الله إذا حباه فضلًا علىٰ غيره، وأن يحمد الله الذي عافاه مما ابتلىٰ به غيره، أما أن يسخر ويستهزئ فذلك من نقص العقل والدين.(١)

الثانية: السخرية من الرجال بعضهم ببعض أو النساء، وأن الواجب علىٰ المؤمن أن يحذر السخرية من أخيه والاستهزاء بأخيه فربما كان المستهزأ به أفضل عند الله وخيرا من هذا المستهزئ الساخر المتنقص، وهكذا النساء مع بعضهن، ولهذا قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ذكرهم بالإيمان الذي يجب أن يمنعهم مما حرم الله ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجرات:١١] لا تسخر من فقره أو دمامته أو عرجه أو غير هذا من الأسباب، وكذلك المرأة لا تسخر من أختها ولا من أخيها بل يجب علىٰ المؤمن أن يشكر الله إذا حباه

(١) "مجموع فتاوىٰ ابن باز"١٢/ ١١.

فضلًا علىٰ غيره، وأن يحمد الله الذي عافاه مما ابتلي به غيره، أما أن يسخر ويستهزئ فذلك من نقص العقل والدين.(١)

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

قال الواحدي: والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا: يرمونهم بغير ما عملوا.(٢)

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ﴾ [الأحزاب:٥٨] يرمونهم بغير ما عملوا﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا﴾ [الأحزاب:٥٨] تحملوا كذبًا و﴿إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠﴾ [النساء:٥٠] بينًا. تأمل الفرق بين أذية الله تعالىٰ ورسوله ﷺ وأذية المؤمنين تجد بينهما فرقًا كبيرًا في العقوبة قال سبحانه وتعالىٰ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ﴾ [الأحزاب:٥٨]:﴿بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ﴾ [الأحزاب:٥٨] هذا لم يذكر في الآية الأولىٰ بسبب أنه لا يمكن أن يكون من فعل الله تعالىٰ أو من فعل رسوله ﷺ ما يستحقون به الأذية لكن المؤمنين يمكن أن يقع منهم ما يستحقون به الأذية عليه، وأيضًا قال تبارك وتعالىٰ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب:٥٨] لأن المؤمن قد

---

(١) "المجموع"١١-١٢.

(٢) "الوجيز"ص٨٧٣.

يكتسب شيئًا يستحق الأذية عليه، وأيضًا قال تبارك وتعالىٰ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب:٥٨] ولم يقل: لعنهم الله ولا أعد لهم عذابًا مهينًا بل قال تبارك وتعالىٰ﴿ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا﴾ [الأحزاب:٥٨] ولم يقل: لعنهم الله ولا أعد لهم عذابًا مهينًا بل قال تبارك وتعالىٰ: ﴿ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا﴾ [الأحزاب:٥٨] يعني كذبًا وتحملوه والبهتان هو أن تذكر أخاك بما ليس فيه، ولهذا لما سأل النبي ﷺ عن الغيبة قال ﷺ: هي ذكرك أخاك بما يكره قال: يا رسول الله أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم لك يكن فيه ما تقول فقد بهته. إذن: أذية المؤمن بماذا تكون؟ الجواب: تكون بالقول وبالفعل وهي كثيرة، ومن هذا النوع أن يهينه عندما يأتي لطلب حقه فإن بعض الموظفين- والعياذ بالله- إذا جاءهم الناس إجراء معاملاتهم تجدهم يمتهنونهم ويؤذونهم هذا أيضًا من أذية المؤمنين بغير ما اكتسبوا، وأنواعها لا يمكن حصرها، والشيء العام هو أن يحصل للمؤمن أذية من فعل أو قول، فالذين يؤذون المؤمنين بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينا نسأل الله العافية، من فوائد الآية الكريمة: الفائدة الأولىٰ: تحريم أذية المؤمنين بغير حق لقوله تعالىٰ﴿فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب:٥٨] الفائدة الثانية: تحريم كل أذية أيًا كان نوعها سواء كانت قولية أو فعلية؛ لعموم اللفظ في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ﴾ [الأحزاب:٥٨]. واسم الموصول من صيغ العموم. الفائدة الثالثة: أن أذية المؤمن بما هو من كسبه ليس فيها وعيد، وليست إثمًا ولا بهتانًا

لقول تعالىٰ: ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب:٥٨].(١)

وقال النسفي: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب:٥٨]: وهم رجال أمته ونساؤهم ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب:٥٨] فعلوا ما يستحقون به الإيذاء بالحد والتعزير والإسماع ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ [الأحزاب:٥٨]أي: كذبًا مفترىٰ، وهذا الإيذاء بالقول ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ ظاهر مظهرًا من نفسه أنه إثم إيذاء المؤمنين والمؤمنات معصية وإيذاء الله والرسول كفرًا.(٢)

وقال المفسر السعدي: وإن كانت أذية المؤمنين عظيمة، وإثمها عظيمًا، ولهذا قال فيها: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ [الأحزاب:٥٨] أي: بغير جناية منهم موجبة للأذىٰ ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا﴾ [الأحزاب:٥٨] علىٰ ظهورهم ﴿بُهْتَانًا﴾ حيث آذوهم بغير سبب ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ حيث تعدوا عليهم، وانتهكوا حرمة أمر الله باحترامها.(٣)

وقال الكتاني: أي: كما حرم الله إيذاءه بالقذف والقول بما لا يليق بعزته وجلاله من نسبة الولد والصاحبة له، وحرم إيذاء رسوله ﷺ كذلك حرم الله إيذاء المسلمين، وإيذاء الله ورسوله كفر وردة، وجزاء فاعل ذلك القتل، وأخذ

---

(١) تفسير العثيمين: الأحزاب ص٤٧٩.

(٢) "التيسير في التفسير" ١٢/ ٢٠١.

(٣) "تيسير الكريم الرحمن"ص٦١٧.

المال غنيمة، وإيذاء المؤمنين، إن كان بحق كأن يرتكب جريمة يستحق عليها الحد من قتل أو زنا أو ما إلىٰ ذل، فهذا يكون إيذاء بحق، وبما اكتسب هؤلاء من جرائم وذنوب ومعاص. أما إذا لم يصنعوا شيئًا من ذلك وأوذوا بغير سبب موجب، أو أوذوا بشيء لم يكتسبه المؤمن ولا المؤمنة، فلا يستحق إيذاء ولا يستحق ضربًا ولا يستحق عقابًا ولا يستحق شتيمة، فمن فعل ذلك أخزاه الله وعاقبه الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب:٥٨] المؤذون للمؤمنين والمؤمنات حملوا في صحائفهم إثمًا مبينًا وذنبًا ظاهرًا، وجريمة بينة، وسيعاقبون عليها في الآخرة إذا لم يسترضوا من آذوه وسامحوهم؛ لأن الله يسمح ما يتعلق به، أما ما يتعلق بالعباد فلا بد أن يغفروه ويتنازلوا عنه، كما قال الشاعر: كن كيف شئت فإن الله ذو كرم وأنف الهموم فما في الأمر من بأس سوىٰ اثنتين فلا تقربهما أبدًا الشرك بالله والإضرار بالناس فالإضرار بالناس لا يغفره الله إلا إذا غفره من أوذي، والشرك بالله إذا مات المرء عليه فلا مغفرة البتة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨] فأذية المؤمن والمؤمنة كبيرة من الكبائر وجريمة من الجرائم، وكل ذلك بحسبه، فإن سرقه قطع، وإذن قذفه جلد، وإن انتهك حرمته عزر، وإن قال عنه ما ليس فيه كان أفاكا آثمًا وفي الحديث: «جاء رجل إلىٰ رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله: ما الغيبة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره قال: فإن كان

فيه؟ قال: إن كان فيه فهو غيبة، أما إن ذكرته بما ليس فيه فهو البهتان» والبهت هو أشد الكذب. فمن ذكر أخاه المؤمن بما ليس فيه فيعتبر مغتابًا فقط بل يعتبر كذابًا قاذفًا، فالبهت أكبر من الغيبة، ذاك كبيرة وهذا أكبر من الكبيرة وعليه تعزير وتأديب فقد يصل إلىٰ حد القذف فيجلد الحد.(١)

- وقال الزحيلي: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب:٥٨-٥٩]، أي: والذين يؤذون أهل الإيمان من الرجال والنساء بوجه من وجوه الأذىٰ من قول أو فعل، وسواء أكان الإيذاء للعرض، أو الشرف أو المال، بأن ينسبوا إليهم ما هم برآء منه، لم يعملوه ولم يفعلوه، فهو إيذاء بغير حق، كأن يشتم المؤمن أحدا، أو يضربه، أو يقتله، فقد أتوا بالكذب المحض والبهتان الكبير: وهو نسبة شيء لهم لا علم لهم به ولم يفعلوه، علىٰ سبيل العيب والإنقاص، وارتكبوا ذنبا واضحا بينا. ونظير الآية: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء:١١٢-١١٣].

---

(١) "تفسير المنتصر الكتاني"٣/٢١١.

والبهتان: الفعل الشنيع، أو الكذب الفظيع. ومن أشد أنواع الأذىٰ: الطعن في الصحابة، والغيبة، واستباحة عرض المسلم، روىٰ الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن المغفّل المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله، ومن آذىٰ الله يوشك أن يأخذه»[١]. وروىٰ أبو داود [٢]والترمذي[٣] عن أبي هريرة: أنه قيل: «يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته».

وروىٰ ابن أبي حاتم[٤] والبيهقي في "شعب الإيمان" عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أي الربا أربىٰ عند الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أربىٰ الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم» ثم قرأ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب:٥٨][٥].

---

(١) مسند أحمد ٢٠٥٤٩ والترمذي ٣٨٦٢.

(٢) سنن أبي دواد ٤٨٧٤.

(٣) "سنن الترمذي" ١٩٣٤.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ١٧٧٧٨.

(٥) "التفسير المنير"٢٢/ ١٠١.

وقال البغوي: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ [الأحزاب:٥٨] من غير أن عملوا ما أجوب أذاهم، وقال مجاهد: يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم، فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا.(١)

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [الأحزاب:٥٨] بوجه من وجوه الأذىٰ من قول أو فعل ومعنىٰ ﴿بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾ [الأحزاب:٥٨] أنه لم يكن ذلك لسبب فعلوه يوجب عليهم الأذية ويستحقونها به، فأما الأذية للمؤمن والمؤمنة بما كسبه مما يوجب عليه حدًا أو تعزيرًا، أو نحوهما فذلك حق أثبته الشرع، وأمر أمرنا الله به، وندبنا إليه، وهكذا إذا وقع من المؤمنين والمؤمنات الابتداء بشتم لمؤمن أو مؤمنة أو ضرب فإن القصاص من الفاعل ليس من الأذية المحرمة علىٰ أي وجه كان ما لم يجاوز ما شرعه الله.(٢)

وقال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

قال النسفي: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ [القصص:٨٣] تلك تعظيم لها وتفخيم لشأنها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها وقوله: (نجعلها) خبر تلك والدار نعتتها ﴿لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص:٨٣] بغيًا ابن جبير أو ظلمًا،

(١) "تفسير البغوي"٣/ ٦٦٤.

(٢) "فتح القدير"٤/ ٣٠٣.

ولا فسادًا عملًا بالمعاصي أو قتل النفس أو دعاء إلىٰ عبادة غير الله، ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك إرادتهما وميل القلوب إليهما كما قال:﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ [هود:١١٣] فعلق الوعيد بالركون وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الرجل ليعجبه أن يكون شراك نعله أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها. وعن الفضيل أنه قرأها ثم قال: ذهبت الأماني هاهنا. وعن عمر بن عبد العزيز أنه كان يرددها حتىٰ قبض وقال بعضهم: حقيقة التنفير عن متابعة فرعون وقارون متشبثًا بقوله إن فرعون علا في الأرض ولا تبغ الفساد في الأرض ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ المحمودة ﴿لِلۡمُتَّقِينَ﴾.[1]

يقول تعالىٰ ذكره: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القصص:٨٣].

﴿وَلَا فَسَادٗاۚ﴾ [القصص:٨٣] يقول: ولا ظلم الناس بغير حق وعملا بمعاصي الله فيها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.[2]

قال مسلم البطين في قوله:﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ﴾ [القصص:٨٣] قال: العلو التكبر في الحق، والفساد الأخذ بغير الحق.[3]

---

(١) "تفسير النسفي"٢/ ٦٦١.

(٢) "تفسير الطبري جامع البيان"١٨/ ٣٤٣.

(٣) "أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره٩/ ٣٠٢٢، ٣٠٢٣ من طريق عبد الرحمن به وعزاه السيوطي في"الدر المنثور"٥/ ١٣٩ إلىٰ الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأخبر سبحانه أنه جعل الآخرة للذين يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا فوصفهم بأنهم لا يريدون واحدًا من هذين فمن أراد أحد هذين لم يكن من هؤلاء الذين أخبر أنه جعل لهم الدار الآخرة.(١)

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

وقال تعالىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان:١٨] يقول: لا تتكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك.(٢)

(١) "جامع المسائل"٩/ ١٧٣

(٢) "تفسير ابن أبي حاتم"٩/ ٣٠٩٩.

وقال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان:١٨] لا تمل وجهك عنهم تكبراً التصعير هو الإمالة ومنه: الصعر في الوجه وهو الميال بحيث تكون العنق ملتوية، تميل إما يمينًا وإما شمالًا، وقوله تعالىٰ:﴿خَدَّكَ﴾ [لقمان:١٨] أي: وجهك، فهو من إطلاق البعض وإرادة الكل، وقول المفسر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (تكبرا) نعم هذا محط النهي أن يفعل ذلك علىٰ سبيل الإعراض عما لا يجوز النظر إليه، كما لو قابلته امرأة فصد وأعرض فإنه لا يدخل في الآية ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ وأما إذا صعرت وجهي أو خدي لأجل أن لا أرىٰ أي شيء محرم فإنه لا يدخل في هذه الآية، وقوله تعالىٰ : ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان:١٨] أي: عنهم فتمله تكبرًا، وقوله تعالىٰ: ﴿لِلنَّاسِ﴾ عام يشمل المؤمن والكافر، ولكن الكافر لا يعامل كما يعامل المؤن في مثل هذه الأمور، وقفد يقال: إن شرعنا ورد بخلافه وأن الكافر يصعر له الخد.[١]

وقال النسفي: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان:١٨] أي ولا تعرض عنهم تكبراً.[٢]

وقال الواحدي: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان:١٨] لا تعرض عنهم تكبرًا ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ متبخترًا مختالًا.[٣]

---

(١) "تفسير العثيمين: لقمان ص١١٠.

(٢) "تفسير النسفي"٢/ ٧١٦.

(٣) "الوجيز" للواحدي ص٨٤٩.

وقال الفيروز آبادي:﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان:١٨] لا تعرض وجهك من الناس تكبرًا وتعظمًا عليهم ويقال لا تحقر فقراء المسلمين ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ بالتكبر والخيلاء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ [لقمان:١٨] في معيشته ﴿فَخُورٍ﴾ بنعم الله.(١)

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان:١٨] يقول: لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقارًا منك لهم، واستكبارًا عليهم ولكن ألن جانبك وابسط وجهك إليهم.(٢)

وقال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالىٰ: ﴿مُخْتَالٍ﴾ أي افاعل للخيلاء، و﴿فَخُورٍ﴾ أي: مفتخر بنفسه، والفرق بينهما أن الاختيال يكون بالنفس، والفخر يكون بالقول، فهذا الرجل عنده خيلاء في نفسه، واختيال علىٰ عباد الله سبحانه وتعالىٰ، وعنده فخر بلسانه يفخر بنفسه، ويقول: أنا فلان بن فلان، ويمتدح نفسه، ولكن هذا ما لم يكن في الحرب، فإن كان في الحرب فلا بأس أن يفخر الإنسان.(٣)

وقال الزحيلي: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان:١٨] علىٰ تحريم التكبر ومعنىٰ

---

(١) "تنوير المقباس من تفسير ابن عباس"ص٣٤٥.

(٢) تفسير ابن كثير" ت السلامة"٦/ ٤٤٨.

(٣) "تفسير العثيمين: لقمان ص١١١.

الآية: ولا تمل خدك للناس تكبرًا عليهم، ومعنىٰ الآية: ولا تمل خدك للناس تكبرًا عليهم، وإعجابًا بالنفس، واحتقارًا لهم، وأقبل عليهم متواضعًا مؤنسًا مستأنسًا وإذا حدثك أصغر الناس، فأصغ إليه حتىٰ يكمل حديثه، كما كان يفعل النبي ﷺ.(١)

وقال القرطبي: معنىٰ الآية: ولا تمل خدك للناس كبرًا عليهم وإعجابًا واحتثارًا لهم، وهذا تأويل ابن عباس وجماعة، وقيل: هو أن تلوي شدقك إذا ذكر الرجل عندك كأنك تحتقره، فالمعنىٰ: أقبل عليهم متواضعًا مؤنسًا مستأنسًا، وإذا حدثك أصغرهم فأصغ إليه حتىٰ يكمل حديثه.(٢)

وقال الطبري: ولا تعرض بوجهك عمن كلمته؛ تكبرًا واستحقارًا لمن تكلمه(٣).

وقال ابن عباس: ولا تمل خدك للناس كبرًا عليهم وإعجابًا واحتقارًا لهم(٤).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

---

(١) "التفسير المنير" الزحليلي٢١/ ١٥٥.

(٢) "الجامع لأحكام القرآن"١٤/ ٧٠

(٣) "جامع البيان" ت التركي١٨ / ٥٥٩.

(٤) أخرجه الطبري"١٠/ ٢١٤-٢١٥ رقم٢٨١٠٩.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨].

وقال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦].

قال ابن كثير مبينًا دلالة هذه الآيات: يُخْبِرُ تَعَالَىٰ عَنِ الْمُجْرِمِينَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدَّارِ الدُّنْيَا يَضْحَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ: يَسْتَهْزِئُونَ بِهِمْ وَيَحْتَقِرُونَهُمْ، وَإِذَا مَرُّوا بِالْمُؤْمِنِينَ يَتَغَامَزُونَ عَلَيْهِمْ، أَيْ: مُحْتَقِرِينَ لَهُمْ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ، أَيْ: إِذَا انْقَلَبَ أَيْ رَجَعَ هَؤُلَاءِ الْمُجْرِمُونَ إِلَىٰ مَنَازِلِهِمُ انْقَلَبُوا إِلَيْهَا فَاكِهِينَ أَيْ: مَهْمَا طَلَبُوا وَجَدُوا، وَمَعَ هَذَا مَا شَكَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِمْ بَلِ اشْتَغَلُوا بالقوم المؤمنين يحقرونهم وَيَحْسُدُونَهُمْ وَإِذا رَأَوْهُمْ قالُوا إِنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ أَيْ: لِكَوْنِهِمْ عَلَىٰ غَيْرِ دِينِهِمْ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَـٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾ أَيْ: وَمَا بعث هؤلاء المجرمون حافظين علىٰ هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم مِنْ أَعْمَالِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ وَلَا كُلِّفُوا بِهِمْ؟ فَلِمَ اشْتَغَلُوا بِهِمْ وَجَعَلُوهُمْ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، كَمَا قَالَ تعالىٰ: قالَ اخْسَؤُا فِيها وَلا تُكَلِّمُونِ إِنَّهُ كانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبادِي

يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِما صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفائِزُونَ [الْمُؤْمِنُونَ: ١٠٨- ١١١] وَلِهَذَا قَالَ هَاهُنَا فَالْيَوْمَ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ أَيْ فِي مُقَابَلَةِ مَا ضَحِكَ بِهِمْ أُولَئِكَ عَلَىٰ الْأَرائِكِ يَنْظُرُونَ أَيْ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي مُقَابَلَةِ مَنْ زَعَمَ فِيهِمْ أَنَّهُمْ ضَالُّونَ لَيْسُوا بِضَالِّينَ بَلْ هُمْ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ الْمُقَرَّبِينَ يَنْظُرُونَ إلىٰ ربهم في دار كرامته. وقوله تعالىٰ: هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كانُوا يَفْعَلُونَ أَيْ هَلْ جُوزِيَ الْكُفَّارُ عَلَىٰ مَا كَانُوا يُقَابِلُونَ به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أَمْ لَا، يَعْنِي قَدْ جُوزُوا أَوْفَرَ الْجَزَاءِ وأتمه وأكمله.(١)

وقال السعدي عند تفسير الآيات: لما ذكر الله جزاء المجرمين وجزاء المؤمنين، وذكر ما بينهما من التفاوت العظيم، أخبر أن المجرمين كانوا في الدنيا يسخرون بالمؤمنين ويستهزئون بهم ويضحكون منهم، ويتغامزون بهم عند مرورهم عليهم، احتقارًا لهم، وازدراء ومع هذا تراهم مطمئنين، لا يخطر الخوف علىٰ بالهم: ﴿**وَإِذَا انقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ**﴾ [المطففين:٣١] صباحًا أو مساء ﴿**ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١**﴾ [المطففين:٣١] أي: مسرورين مغتبطين، وهذا من أعظم ما يكون من الاغترار، أنهم جمعوا بين غاية الإساءة والأمن في الدنيا، حتىٰ كأنهم قد جاءهم كتاب من الله وعهد، أنهم من أهل السعادة، وقد حكموا لأنفسهم أنهم أهل

(١) "تفسير ابن كثير"٨/ ٣٥٣.

الهدىٰ، وأن المؤمنين ضالون، افتراء علىٰ الله، وتجرأو علىٰ القول عليه بلا علم.(١)

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٩-١١١].

﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى﴾ [المؤمنون:١١٠] أي: اشتغلتم بذلك ليلكم ونهاركم حتىٰ نسيتم ذكري وتوحيدي وعبادتي، وحتىٰ نسيتم أن تذكروا أن هناك ربًا خالقًا هو جل جلاله أحكم الحاكمين يوم لا حاكم إلا هو، فينتقم منكم لهم، ويحكم لهم عليكم، وتجازون الجزاء الأوفىٰ خالدين في النار أبد الآبدين ودهر الداهرين.

﴿وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [المؤمنون:١١٠]، فأخذتم تتضاحكون وتتغامزون منهم، وانظروا الآن العاقبة ومن هو الأجدر بأن يضحك عليه، ومن هو الأجدر بأن يسخر منه!!

قال الواحدي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [المؤمنون:١١٠] أي: سخرتم منهم واستهزأتم.(٢)

(١) "تيسير الكريم الرحمن"ص٩١٦.

(٢) "الوجيز"ص٧٥٤.

وقال الكتاني: تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ فهؤلاء -وهذا مقامهم- كنتم في الحياة الدنيا تتخذونهم سخريًا وتهزئون بهم، وتضحكون عليهم، ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا﴾ [المؤمنون:١١٠]، قرئ سُخريـًا وسِخريـًا بضم السين وكسرها والمعنىٰ واحد، أي: اتخذتموهم مساخر، وأخذتم تتضاحكون وتهزؤون بهم وهم عباد الله الصالحون، وسيضحكون منكم يومـًا وتندمون حين لا ندم. ﴿فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي﴾ [المؤمنون:١١٠] أي: اشتغلتم بهم ليلاً ونهاراً، فتارة تقولون عنهم: رجعيون، وتارة تقول عنهم: متأخريون، وتارة تقول عنهم: خرافيون، فإذا مروا أمامكم تغامزتم عليهم وتضاحكتم بهم، وظننتم أنفسكم شيئًا وأنتم لستم بشيء، ومع كل هذا كانوا يدعونكم لربكم ويعظونكم ويرشدونكم وتأبون إلا الإصرار علىٰ الشرك والكفر والعصيان.(١)

وقال صديق حسن خان: أي اتخذتموه سخريًا إلىٰ هذه الغاية فإنهم نسوا ذكر الله لشدة اشتغالهم بالاستهزاء: ﴿وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠﴾ [المؤمنون:١١٠] في الدنيا، والمعنىٰ حتىٰ نسيتم ذكري باشتغالكم بالسخرية والضحك، فنسب ذلك إلىٰ عبادة المؤمنين لكونهم السبب.(٢)

وقال الشنقيطي: قَوۡلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ

(١) "تفسير المنتصر الكتاني"٩/ ٩٤.

(٢) "فتح البيان في مقاصد القرآن"٩/ ١٥٦.

﴿تَضْحَكُونَ ١١٠﴾ [المؤمنون: ١٠٩-١١٠].

قَدْ تَقَرَّرَ فِي الْأُصُولِ فِي مَسْلَكِ الْإِيمَاءِ وَالتَّنْبِيهِ، أَنَّ إِنَّ الْمَكْسُورَةَ الْمُشَدَّدَةَ مِنْ حُرُوفِ التَّعْلِيلِ، كَقَوْلِكَ: عَاقِبْهُ إِنَّهُ مُسِيءٌ، أَيْ: لِأَجْلِ إِسَاءَتِهِ، وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى﴾ [المؤمنون:١٠٩]، يَدُلُّ فِيهِ لَفْظُ إِنَّ الْمَكْسُورَةِ الْمُشَدَّدَةِ، عَلَىٰ أَنَّ الْأَسْبَابَ الَّتِي أَدْخَلَتْهُمُ النَّارَ هُوَ اسْتِهْزَاؤُهُمْ، وَسُخْرِيَتُهُمْ مِنَ الْفَرِيقِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقُولُ: رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ، فَالْكُفَّارُ يَسْخَرُونَ مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يُنْسِيَهُمْ ذَلِكَ ذِكْرَ اللهِ، وَالْإِيمَانَ بِهِ فَيَدْخُلُونَ بِذَلِكَ النَّارَ. وَمَا ذَكَرَهُ تَعَالَىٰ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ أَشَارَ لَهُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ٣٠﴾ [المطففين:٢٩-٣٠]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام:٥٣] وَكُلُّ ذَلِكَ احْتِقَارٌ مِنْهُمْ لَهُمْ، وَإِنْكَارُهُمْ أَنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَيْهِمْ بِخَيْرٍ، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ [الأعراف:٤٩]، وَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ﴾ [الأحقاف:١١] وَكُلُّ ذَلِكَ احْتِقَارٌ مِنْهُمْ لَهُمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [المؤمنون:١١٠] وَالسُّخْرِيُّ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ: مَصْدَرُ سَخِرَ مِنْهُ، إِذَا اسْتَهْزَأَ بِهِ عَلَىٰ سَبِيلِ الِاحْتِقَارِ، قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي يَاءِ النَّسَبِ: زِيَادَةٌ فِي الْفِعْلِ، كَمَا قِيلَ فِي الْخُصُوصِيَّةِ بِمَعْنَىٰ الْخُصُوصِ، وَمَعْنَاهُ: أَنَّ الْيَاءَ الْمُشَدَّدَةَ فِي آخِرِهِ تَدُلُّ عَلَىٰ

زِيَادَةِ سُخْرِهِمْ مِنْهُمْ وَمُبَالَغَتِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَقَرَأَ نَافِعٌ وَحَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ: سُخْرِيًّا بِضَمِّ السِّينِ، وَالْبَاقُونَ بِكَسْرِهَا وَمَعْنَىٰ الْقِرَاءَتَيْنِ وَاحِدٌ، وَهُوَ سُخْرِيَةُ الْكُفَّارِ وَاسْتِهْزَاؤُهُمْ بِضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا بَيَّنَّا، وَمِمَّنْ قَالَ بِأَنَّ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ: الْخَلِيلُ وَسِيبَوَيْهِ، وَهُوَ الْحَقُّ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ. وَعَنِ الْكِسَائِيِّ وَالْفَرَّاءِ: أَنَّ السِّخْرِيَّ بِكَسْرِ السِّينِ مِنْ قَبِيلِ مَا ذَكَرْنَا مِنَ الِاسْتِهْزَاءِ، وَأَنَّ السُّخْرِيَّ بِضَمِّ السِّينِ مِنَ التَّسْخِيرِ، الَّذِي هُوَ التَّذْلِيلُ وَالْعُبُودِيَّةُ.(١)

وقال تعالىٰ: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ﴾ [هود: ٢٧]

وقال تعالىٰ: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ [هود: ٣٨]

قال النسفي: سخروا منه: أي من نوح. وقيل: من صنعه. وقيل: كانوا يقولون: صرت نجارًا بعد النبوة علىٰ طريق الاستهزاء. وقيل: السخرية: إظهار خلاف الإبطان. علىٰ جهة يقفهم منها استضعاف عقل من يسخر منه، ومنه التسخير، وهو التذليل والاستضعاف.(٢)

(١) "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"٥/ ٣٦٠.

(٢) "التيسير في التفسير" للنسفي٨/ ١٩٦.

وقال السمعاني: قَالَ أهل التَّفْسِير: كَانُوا إِذا مروا عَلَيْهِ قَالُوا: إِن هَذَا الَّذِي كَانَ يزْعم أَنه نَبِي قد صَار نجارا.

وَرُوِيَ أَنهم كَانُوا يَقُولُونَ لَهُ: يَا نوح، مَا تصنع؟ فَيَقُول: أصنع بَيْتا يمشي علىٰ المَاء، فيضحكون ويتعجبون مِنْهُ.

وَفِي بعض التفاسير عَن ابْن عَبَّاس: أَنهم لم يَكُونُوا رَأَوْا بحرا قطّ وَلَا سفينة، وَإِنَّمَا الْبحار الْآن من بقايا الطوفان. وَقَوله: ﴿قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ [هود:٣٨] فَإِن قيل: كَيفَ يجوز أَن يسخر نَبِي من الْأَنْبِيَاء من قومه؟ الْجَواب: إِن هَذَا علىٰ وَجه ازدواج الْكَلَام، وَمَعْنَاهُ: إِن تستجهلوني فَإِنِّي أستجهلكم إِذا نزل الْعَذَاب. وَقيل مَعْنَاهُ: إِن تسخروا مني فسترون عَاقِبَة سخريتكم.(١)

وقال الماوردي: وفي سخريتهم منه قولان: أحدهما: أنهم كانوا يرونه يبني في البر سفينة فيسخرون منه ويستهزئون به ويقولون: يا نوح صرت بعد النبوة نجاراً. الثاني: أنهم لما رأوه يبني السفينة ولم يشاهدوا قبلها سفينة بنيت قالوا يا نوح: ما تصنع؟ قال: أبني بيتاً يمشي علىٰ الماء فعجبوا من قوله وسخروا منه. ﴿قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ ٣٨﴾ [هود:٣٨] فيه قولان: أحدهما: إن تسخروا من قولنا فسنسخر من غفلتكم. الثاني: إن تسخروا من فِعلنا اليوم عند بناء السفينة فإنا نسخر منكم غداً عند الغرق. والمراد بالسخرية ها هنا

(١) "تفسير السمعاني"٢/ ٤٢٨.

الاستجهال. ومعناه إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم. قال ابن عباس: ولم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر فلذلك سخروا منه. قال: ومياه البحار بقية الطوفان. فإن قيل: فلم جاز أن يقول فإنا نسخر منكم مع قبح السخرية؟ قيل: لأنه ذمٌّ جعله مجازاة على السخرية فجاء به على مزاوجة الكلام، وكان الزجاج لأجل هذا الاعتراض يتأوله على معنىٰ إن تستجهلونا فإنا نستجهلكم كما تستجهلوننا.(١)

قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالسُّخْرِيَةُ: الِاسْتِهْزَاءُ، وَهُوَ تَعَجُّبٌ بِاحْتِقَارٍ وَاسْتِحْمَاقٍ. وَتَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم﴾ فِي أَوَّلِ [الْأَنْعَامِ: ١٠]، وَفِعْلُهَا يَتَعَدَّىٰ بِـ (مِنْ) وَسُخْرِيَتُهُمْ مِنْهُ حَمْلُ فِعْلِهِ عَلَى الْعَبَثِ بِنَاءً عَلَىٰ اعْتِقَادِهِمْ أَنَّ مَا يَصْنَعُهُ لَا يَأْتِي بِتَصْدِيقِ مُدَّعَاهُ. وَسُخْرِيَةُ نُوحٍ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَالْمُؤْمِنِينَ، مِنَ الْكَافِرِينَ مِنْ سَفَهِ عُقُولِهِمْ وَجَهْلِهِمْ بِاللهِ وَصِفَاتِهِ. فَالسُّخْرِيَتَانِ مُقْتَرِنَتَانِ فِي الزَّمَنِ. وَبِذَلِكَ يَتَّضِحُ وَجْهُ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ: كَما تَسْخَرُونَ فَهُوَ تَشْبِيهٌ فِي السَّبَبِ الْبَاعِثِ عَلَىٰ السُّخْرِيَةِ، وَإِنْ كَانَ بَيْنَ السَّبَبَيْنِ بَوْنٌ. وَيَجُوزُ أَنْ تَجْعَلَ كَافَ التَّشْبِيهِ مُفِيدَةً مَعْنَىٰ التَّعْلِيلِ كَالَّتِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: وَاذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ [الْبَقَرَة: ١٩٨] فَيُفِيدُ التَّفَاوُتَ بَيْنَ السُّخْرِيَتَيْنِ، لِأَنَّ السُّخْرِيَةَ الْمُعَلَّلَةَ أَحَقُّ مِنَ الْأُخْرَىٰ، فَالْكُفَّارُ سَخِرُوا مِنْ نُوحٍ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِعَمَلٍ يَجْهَلُونَ غَايَتَهُ، وَنُوحٌ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَأَتْبَاعُهُ سَخِرُوا مِنَ الْكُفَّارِ لِعِلْمِهِمْ بِأَنَّهُمْ

(١) "تفسير الماوردي" ٢/ ٤٧١.

جَاهِلُونَ فِي غُرُورٍ، كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ [هود:٣٩] فَهُوَ تَفْرِيعٌ عَلَىٰ جُمْلَةِ فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ أَيْ سَيَظْهَرُ مَنْ هُوَ الْأَحَقُّ بِأَنْ يُسْخَرَ مِنْهُ. وَفِي إِسْنَادِ (الْعِلْمِ) إِلَىٰ ضَمِيرِ الْمُخَاطَبِينَ دُونَ الضَّمِيرِ الْمُشَارِكِ بِأَنْ يُقَالَ: فَسَوْفَ نَعْلَمُ، إِيمَاءٌ إِلَىٰ أَنَّ الْمُخَاطَبِينَ هُمُ الْأَحَقُّ بِعِلْمِ ذَلِكَ.(١)

وهنا جملة قيمة صغيرة لابن عاشور أفردتها لأهميتها عند تفسير هذه الآية: وهذا يفيد أدبًا شريفًا بأن الواثق بأنه علىٰ الحق لا يزعزع ثقته مقابلة السفهاء أعماله النافعة بالسخرية، وأن عليه وعلىٰ أتباعه أن يسخروا من الساخرين.(٢)

وقال تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢].

قال النسفي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة:٢١٢] كانوا يسخرون من فقراء المؤمنين كابن مسعود وعمار وصهيب ونحوهم أي لا يريدون غير الدنيا وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها.(٣)

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [البقرة:٢١٢] أي يستهزءون بِالْفُقَرَاءِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَرَادَ بِالَّذِينِ آمَنُوا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَصُهَيْبًا وَبِلَالًا وَخَبَّابًا وَأَمْثَالَهُمْ، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: نَزَلَتْ فِي الْمُنَافِقِينَ عَبْدِ اللهِ

(١) "التحرير والتنوير" ١٢/ ٦٨.

(٢) "التحرير والتنوير" ١٢/ ٦٩.

(٣) "تفسير النسفي" ١/ ١٧٧.

بْنِ أُبَيٍّ وَأَصْحَابِهِ، كَانُوا يَتَنَعَّمُونَ فِي الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنْ ضُعَفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ وَيَقُولُونَ انْظُرُوا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَزْعُمُ مُحَمَّدٌ أَنَّهُ يَغْلِبُ بِهِمْ، وَقَالَ عَطَاءٌ: نَزَلَتْ فِي رُؤَسَاءِ الْيَهُودِ مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ وَبَنِي قَيْنُقَاعَ سَخِرُوا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ فَوَعَدَهُمُ اللهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ أَمْوَالَ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ بِغَيْرِ قِتَالٍ ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة:٢١٢] لِفَقْرِهِمْ ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ [البقرة:٢١٢] يَعْنِي هَؤُلَاءِ الْفُقَرَاءَ ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [البقرة:٢١٢] لِأَنَّهُمْ فِي أَعْلَىٰ عِلِّيِّينَ وَهُمْ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ.

أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ الطَّاهِرِيُّ أَخْبَرَنَا جَدِّي عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْبَزَّارُ أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ زَكَرِيَّا الْعَذَافِرِيُّ أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ الدَّبَرِيُّ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ سُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "وَقَفْتُ عَلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْمَسَاكِينَ وَوَقَفْتُ عَلَىٰ بَابِ النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ وَإِذَا أَهْلُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ إِلَّا مَنْ كَانَ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَقَدْ أُمِرَ بِهِ إِلَىٰ النَّارِ.(١)

﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة:٢١٢]: يسخرون: جاءت بصيغة المضارع؛ لتدل علىٰ تجدد فعل السخرية عندهم من الذين آمنوا، وأنه مستمر ولا ينقطع في الحياة الدنيا، والسخرية: هي الاحتقار والذل، والازدراء؛ لضعف، أو عيب أو نقص ، أو جبن، وتكون قولًا أو فعلًا في وجه المسخور منه، والسخرية: لا

---

(١) " تفسير البغوي"١/ ٢٤٢ انظر"الوسيط١/ ٣٠٨" الدر المنثور"١/ ٥٨١.

تستعمل إلا مع الأشخاص، أو الأعمال، ولا بد من وقوع فعل سابق من المسخور منه؛ أي: لا بد من وجود سب يدعو إلىٰ السخرية، وتختلف عن الاستهزاء الذي لا يقتضي بوجود سبب له، ﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٢١٢-٢١٣]؛ لكونهم فقراء، أو لتصديقهم بالآخرة، أو اتباعهم النبي ﷺ، أو لكونهم قلة، وغيرها[١].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله تعالىٰ: ﴿وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة:٢١٢]؛ هذه الجملة يقولون: إنها حالية؛ يعني: زينت لهم والحال أنهم يسخرون من الذين آمنوا؛ و ﴿وَيَسۡخَرُونَ﴾ يعني يجعلونهم محل سخرية، وازدراء، واحتقار؛ إما لِما يقومون به من الأعمال الصالحة؛ وإما لكونهم لم يؤتوا من الدنيا ما أوتي هؤلاء - علىٰ زعمهم -، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ۝٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢﴾ [المطففين:٢٩-٣٢]. قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ [البقرة:٢١٢] أي اتقوا ربهم عزّ وجلّ؛ و «التقوىٰ» كثيراً ما ترد في القرآن الكريم؛ وهي اتخاذ وقاية من عذاب الله بفعل أوامره، واجتناب نواهيه، عن علم وبصيرة. قوله تعالىٰ: ﴿فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [البقرة:٢١٢] أي فوقهم مرتبة، ومنزلة؛ وهذا ما أعاضهم الله به، حيث كان أولئك الذين كفروا يسخرون بهم في الدنيا،

---

(١) "تفسير القرآن الثري الجامع" ٢/ ٧١.

فجعلهم الله فوقهم يوم القيامة؛ وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾ [المطففين:٣٤-٣٥]. قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢١٢﴾ أي: يعطي من يشاء من فضله بغير محاسبة علىٰ ذلك؛ فهم يأخذون أجرهم يوم القيامة مجانـًا؛ لأن العوض قد سبق؛ ويحتمل أن المعنىٰ بغير تقدير - أي لا يقدَّر لهم ذلك -؛ بل يعطون ما تشتهيه أنفسهم.(١)

وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿ بَلۡ عَجِبۡتَ وَيَسۡخَرُونَ ﴾ [الصافات: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ [ص:٦٢-٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ [الزمر: ٥٦].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴾ الساخر بمعنىٰ: المستهزئ: أي ساخرين بمن يدعو إلىٰ الله تعالىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣﴾ [ص:٦٣]، ساخرين بدين الله تعالىٰ، ساخرين بكتب الله تعالىٰ، ساخرين برسل الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ

---

(١) "تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة"١/ ٢٢.

﴿كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾ [التوبة:٦٥].

ولهذا حذف المفعول في قوله: سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ [الزمر:٥٦] لإفادة العموم؛ أي: الساخرين بالله تعالىٰ وآياته ورسله وأوليائه، فهو عام.(١)

وقال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ [الزمر:٥٦] المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين قال قتادة: لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتىٰ جعل يسخر بأهل طاعته.(٢)

وقال النحاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثم قال: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ [الزمر:٥٦] ولم يقل من السواخر ولا من الساخرات والتقدير في العربية علىٰ كسر التاء واستكبرت وكنت من الجميع الساخرين وقوم يقع للرجال والنساء إذا اجتمعوا وللرجال مفردين كما قال الشاعر: وما أدري وسوف إخال أدري...أقوام آل حصن أم نساء.(٣)

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ [الزمر:٥٦] من المستهزئين في الدنيا بالقرآن، قاله : بالنبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وبالمؤمنين، قاله يحي بن سلام.(٤)

وقال النسفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقولُه تعالىٰ: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ [الزمر:٥٦]: له

(١) "تفسير العثيمين "الزمر ص٤٠١.

(٢) "تفسير البغوي"٧/ ١٢٩.

(٣) "معاني القرآن"٦/ ١٨٩.

(٤) "تفسير الماوردي"النكت والعيون" ٥/ ١٣٣.

وجهان: وما كنتُ إلَّا مِن الساخِرين، وقد كنتُ مِن الساخِرين؛ أي: في لعِبٍ مِن أمري في الدنيا وباطلٍ.

وقيل: أي: مع تفريطي في أمر الله كنتُ أسخَرُ ممَّن لا يُفَرِّط في أمر الله، ونظيرُه قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩﴾ [المطففين:٢٩] الآيات، ﴿أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٥٧﴾ [الزمر:٥٧]؛ أي: الشرك والمعاصي.

وقال الإمام أبو منصور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا الكافر أعرَفُ بهداية الله مِن المعتزلة، وكذا ما قال أولئك الكفرةُ لأتباعهم: ﴿لَوۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيۡنَٰكُمۡۖ﴾ [إبراهيم:٢١]، يقولون: لو وفَّقَنا الله للهداية وأعطانا الهدىٰ لدعوناكم إليه، ولكنْ علِمَ منا اختيار الضلالة والغِواية، وتَرْكَ الرَّغْبة في الهدىٰ، والاستخفافَ به، فأضلَّنا وخذَلَنا ولم يُوفِّقْنا، والمعتزلة يقولون: بل هداهم وأعطاهم التوفيق لكنهم لم يهتدوا.(١)

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَوۡكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١].

---

(١) "التيسير في التفسير" لأبي حفص النسفي ١٣/ ٦٠.

الأحاديث الواردة في ذم الاحتقار

-عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَىٰ هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَىٰ صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»[١].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: ولا أحسب التدابر إلا الإعراض عن المسلم يعرض عنه بوجهه.[٢]

(كل المسلم) مبتدأ خبره حرام، وقوله:(علىٰ المسلم) متعلق بـ(حرام) وقوله: (دمه) وما عطف عليه بدل، أو عطف بيان لـ"كل"(وماله وعرضه)بكسر العين المهملة، وسكون الراء: النفس والحسب، يقال: نقي العرض: أي بريء من العيب. راجع "المصباح المنير٢/ ٤٠٤.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ: التدابر المعاداة، وقيل المقاطعة؛ لأن كل واحد يولي صاحبه دبره، والحسد تمني زوال النعمة، وهو حرام، ومعنىٰ كونوا عباد الله إخوانًا: أي تعاملوا وتعاشروا معاملة الإخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق،

---

(١) رواه مسلم ٢٥٦٤.

(٢) "موطأ الإمام مالك"٢/ ٩٠٧.

والشفقة، والملاطفة، والتعاون في الخير، ونحو ذلك من صفاء القلوب والنصيحة بكل حال.(١)

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بحسب أمرئ من الشر» أي: يكفيه منه في أخلاقه ومعاشه ومعاده "أن يحقر أخاه المسلم" أي: يذلك ويهينه ويزدريه، ولا يعبأ به لأن الله تعالىٰ أحسن تقويمه، وسخر ما في السموات والأرض لأجله، ومشاركة غيره إنما هي بطريق التبع، وسماه مسلمًا، ومؤمنًا، وعبدًا وجعل الأنبياء الذين هم أعظم الخلق من جنسه، فاحتقاره احتقار لما عظمه الله تعالىٰ، وشرفه، ومنه أن يبدأه بالسلام، ولا يرده عليه؛ احتقارًا.(٢)

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «من الشر أن يحقر أخاه المسلم» الباء في «بحسب» زائدة، وهو بإسكان السين لا بفتحها، وهو خبر ابتداء مقدم، والمبتدأ «أن يحقر» تقديره: حسب أمرئ من الشر احتقاره أخاه: أي: كافيه من الشر ذلك، فإنه النصيب الأكبر، والحظ الأوفىٰ، ويفيد أن احتقار المسلم حرام اهـ(٣)

وقال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»، فيه تذخير عظيم من ذلك لأن الله تعالىٰ لم يحقره إذ خلقه ورزقه ثم أحسن تقويم خلقه وسخر ما في السموات وما في الأرض جميعًا لأجله وإن كان

---

(١) "شرح النووي علىٰ صحيح مسلم١٦/ ٣٥١.
(٢) "المفهم"٦/ ٥٣٧.
(٣) "المفهم"٦/ ٥٣٧.

له ولغيره فله من ذلك حصة ثم إن الله سبحانه سماه مسلمًا ومؤمنًا وعبدًا وبلغ من أمره إلىٰ أن جعل الرسول منه إليه محمدًا ﷺ فمن حقر مسلمًا من المسلمين فقد حقر ما عظّم الله عزّ وجل وكافيه ذلك، فإن من احتقار المسلم للمسلم: أن لا يسلم عليه إذا مر ، ولا يرد عليه السلام إذا بدأه، ومنها أن يراه دون أن يدخله الله الجنة أو يبعده من النار وأما ما ينقمه العاقل علىٰ الجاهل والعدل علىٰ الفاسق فليس ذلك احتقارًا يعني المسلم بل لما اتصف به الجاهل من الجهل والفاسق من الفسق فمتىٰ فارق ذلك راجعه إلىٰ احتفاله به ورفع قدره.[(١)]

وقال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا». فيه: الأمر بالألفة والمحبة، والنهي عن التباغض والتدابر، وما أمرهم الشارع فعليهم العمل به، وما نهاهم عنه فعليهم الانتهاء عنه، وغير موسع عليهم مخالفته، إلا أن يخيرهم أن مخرج أمره لهم ونهيه علىٰ وجه الندب والإرشاد، وقد سلف في باب الحب في الله قوله – عليه السلام –: "والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتَّىٰ تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتَّىٰ تحابوا" دل ذَلِكَ أن أمره ونهيه في هذا الحديث علىٰ الوجوب، وقال أبو الدرداء: ألا أخبركم بخير لكم من الصدقة والصيام صلاح ذات البين، وإن البغضة هي الحالقة ؛ لأن في تباغضهم افتراق كلمتهم وتشتت أمرهم، وفي ذَلِكَ ظهور عدوهم عليهم ودروس دينهم.

---

(١) "شرح الأربعين النووية" لابن دقيق العيد ص١١٨.

وفيه: النهي عن الحسد علىٰ النعم، وقد نهىٰ الله عباده المؤمنين عن أن يتمنوا ما فضل الله به بعضهم علىٰ بعض، وأمرهم أن يسألوه من فضله. وسنزيد فيه في باب النهي -إن شاء الله- وقد أجاز الشارع الحسد في الخير كما مضىٰ، ويأتي.

وفيه: النهي عن التجسس وهو البحث عن بواطن الأمور للناس، وأكثر ما يقال ذَلِكَ في الشر. وقال ابن الأعرابي وأبو عمرو الشيباني: الجاسوس: صاحب الشر، والناموس: صاحب الخير، قال الخطابي: وأما (بالحاء) فقيل كالجيم، وبه قرأ الحسن الآية، ومنهم من فرق بينهما فقيل: بالجيم البحث عن عورات المسلمين، (وبالحاء: الاستماع لحديث القوم. ورواه الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير)، وقيل: بالحاء أن تطلب لنفسك، وبالجيم: أن تكون رسولاً لغيرك، قاله أبو عمرو، وقال ابن وهب: بالجيم إذا تخبرها من غيره، وبالحاء إذا تولاها بنفسه، وقيل: اشتقاقه من الحواس؛ ليدرك ذَلِكَ بها، وقيل: بالجيم: في الشر خاصة، وبالحاء فيه وفي الخير. وقد فسر البخاري في بعض الروايات الجيم بأنه البحث، وهو في معنىٰ ما سلف، وفي البخاري ذكر الجاسوس، وفسره من رواية الحموي بأنه: البحث عن الخير، وقيل: عن العدو، وقال ابن الأنباري: إنما سبق أحدهما علىٰ الآخر لاختلاف اللفظ؛ كقولهم بعدًا أو سحقًا. قيل: وقد يكون الخير بالعين. فصل معنىٰ: «لَا تَدَابَرُوا»: لا تهاجروا، وهو أن يولي كل واحد منهما صاحبه دبره، وقيل: لا يتكلم أحد في غيبة أحد بما يسوءه، وقال الهروي: التدابر: التقاطع يقال: تدابر القوم، أي: أدبر كل واحد عن صاحبه.

وقال صاحب "العين": دابرت الرجل: عاديته، ومنه قولهم: جعلته دبر أذني أي: خلفه.(١)

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: «إياكم والظن؛ فإنَّ الظن أكذب الحديث» الظن هنا هو التهمة، ومحل التحذير والنهي إنما هو تهمة لا سبب لها يوجبها، كمن يتهم بالفاحشة، أو بشرب الخمر ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك. ودليل كون الظن هنا بمعنىٰ التهمة قوله بعد هذا: ولا تجسسوا، ولا تحسسوا؛ وذلك أنَّه قد يقع له خاطر التهمة ابتداء فيريد أن يتجسس خبر ذلك، ويبحث عنه، ويتبصر، ويستمع ليحقق ما وقع له من تلك التهمة، فنهىٰ النبي ﷺ عن ذلك. وقد جاء في بعض الحديث: إذا ظننت فلا تحقق وقال الله تعالىٰ: ﴿وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [الفتح:١٢] وذلك: أن المنافقين تطيروا برسول الله ﷺ وبأصحابه حين انصرفوا إلىٰ الحديبية فقالوا: إن محمدا وأصحابه أكلة رأس، ولن يرجعوا إليكم أبدا. فذلك ظنهم السيئ الذي وبخهم الله تعالىٰ عليه، وهو من نوع ما نهىٰ الشرع عنه، إلا أنَّه أقبح النوع، فأما الظن الشرعي الذي هو تغليب أحد المجوزين، أو بمعنىٰ اليقين فغير مراد من الحديث، ولا من الآية يقينا، فلا يلتفت لمن استدل بذلك علىٰ إنكار الظن الشرعي، كما قررناه في الأصول.(٢)

---

(١) "التوضيح لشرح الجامع الصحيح" ٢٨/ ٤٠٩-٤١٠.

(٢) "المفهم"٥٣٤-٥٣٥.

وقال النووي عن حديث: «فإن الظن أكذب الحديث» قد استكشل تسمية الظن حديثًا، وأجيب بأن المراد عدم مطابقة الواقع، سواء كان قولًا أو فعلًا، ويحتمل أن يكون المراد: ما ينشأ عن الظن، فوصف الظن به مجازًا: «ولا تجسسوا ولا تحسسوا».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: الأول بالحاء، والثاني بالجيم، قال بعض العلماء: التحسس بالحاء: الاستماع لحديث القوم، وبالجيم: البحث عن العوارت، وقيل: بالجيم التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر، والجاسوس صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير، وقيل: بالجيم أن تطلبه لغيرك، وبالحاء أن تطلبه لنفسك، قاله ثعلب، وقيل: هما بمعنىٰ وهو طلب معرفة الأخبار الغائبة، والأحوال.(١)

وقال في "الفتح" قوله: «ولا تحسسوا ولا تجسسوا» إحدىٰ الكلمتين بالجيم والأخرىٰ بالحاء المهملة وفي كل منهما حذف إحدىٰ التاءين تخفيفا وكذا في بقية المناهي التي في حديث الباب والأصل تتحسسوا قال الخطابي معناه لا تبحثوا عن عيوب الناس ولا تتبعوها قال الله تعالىٰ حاكيا عن يعقوب عليه السلام اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه وأصل هذه الكلمة التي بالمهملة من الحاسة إحدىٰ الحواس الخمس وبالجيم من الجس بمعنىٰ اختبار الشيء باليد وهي إحدىٰ الحواس فتكون التي بالحاء أعم وقال إبراهيم الحربي

---

(١) "شرح النووي"١٦/ ١١٩.

هما بمعنىٰ واحد وقال بن الأنباري ذكر الثاني للتأكيد كقولهم بعدا وسخطا وقيل بالجيم البحث عن عوراتهم وبالحاء استماع حديث القوم وهذا رواه الأوزاعي عن يحيىٰ بن أبي كثير أحد صغار التابعين وقيل بالجيم البحث عن بواطن الأمور وأكثر ما يقال في الشر وبالحاء البحث عما يدرك بحاسة العين والأذن ورجح هذا القرطبي وقيل بالجيم تتبع الشخص لأجل غيره وبالحاء تتبعه لنفسه وهذا اختيار ثعلب ويستثنىٰ من النهي عن التجسس ما لو تعين طريقا إلىٰ إنقاذ نفس من الهلاك مثلا كأن يخبر ثقة بأن فلانا خلا بشخص ليقتله ظلما أو بامرأة ليزني بها فيشرع في هذه الصورة التجسس والبحث عن ذلك حذرا من فوات استدراكه نقله النووي عن الأحكام السلطانية للماوردي واستجاده وأن كلامه ليس للمحتسب أن يبحث عما لم يظهر من المحرمات ولو غلب علىٰ الظن استسرار أهلها بها إلا هذه الصورة.[1]

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: المراد: النهي عن ظن السوء، قال الخطابي: هو تحقيق الظن، وتصديقه دون ما يهجس في النفس فإن ذلك لا يملك، ومراد الخطابي أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه، ويستقر في قلبه، دون ما يعرض في القلب، ولا يستقر، فإن هذا لا يكلف به كما سبق في حديث: «تجاوز الله تعالىٰ عما تحدثت به الأمة ما لم تتلكم، او تعمل» وسبق تأويله علىٰ الخواطر التي لا تستقر، ونقل القاضي عن سفيان أنه قال: الظن الذي يأثم به ما هو ظنه، وتكلم

---

(١) "الفتح"١٣/ ٦٢٥-٦٢٦.

به، فإن لم يتكلم لم يأثم، قال: وقال بعضهم: يحتمل أن المراد: الحكم في الشرع بظن مجرد من غير بناء علىٰ أصل، ولا نظر واستدلال، وهذا ضعيف، أو باطل، والصواب الأول.(١)

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا تنافسوا» أي: لا تتباروا في الحرص علىٰ الدنيا، وأسبابها، وأما التنافس في الخير فمأمور به كما قال تعالىٰ:﴿**وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦**﴾ [المطففين:٢٦] أي: في الجنة وثوابها، وكأن المنافسة هي الغبطة، وقد أبعد من فسرها بالحسد، لا سيما في هذا الحديث في مساق واحد، فدل علىٰ أنهما أمران متغايران.(٢)

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المنافسة، والتنافس معناهما الرغبة في الشيء، وفي الانفراد به، ونافسته منافسة: إذا رغبت فيما رغب فيه، قيل: معنىٰ الحديث: التباري في الرغبة في الدنيا، وأسبابها وحظوظها.(٣)

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله ﷺ: «ولا يبِعْ بعضُكم علىٰ بيع بعض» قد تكاثرَ النَّهي عَنْ ذلك، ففي " الصحيحين " عن أبي هريرة، عن النَّبيِّ - ﷺ -، قال: «لا يبيع الرجلُ علىٰ بيع أخيه، ولا يخطُبُ علىٰ خِطبةِ أخيه». وفي رواية لمسلم : «لا يَسُمِ المسلمُ علىٰ سومِ المسلم، ولا يَخطُبُ علىٰ خِطبته».

---

(١) "شرح النووي"١٦/ ١١٨-١١٩.

(٢) "المفهم"٦/ ٥٣٥.

(٣) "شرح النووي علىٰ مسلم"١٦/ ١١٩.

وخرَّجاه من حديث ابن عمر عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «لا يَبِعِ الرَّجُلُ علىٰ بيع أخيه، ولا يخطُبْ علىٰ خِطبة أخيه، إلاَّ أنْ يأذن له». ولفظه لمسلم، وخرَّج مسلم من حديث عقبة بن عامر، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «المؤمنُ أخو المؤمنِ، فلا يَحِلُّ للمؤمن أن يبتاعَ علىٰ بيع أخيه، ولا يخطبَ علىٰ خِطبةِ أخيه، حتَّىٰ يَذَرَ»، وهذا يدلُّ علىٰ أنَّ هذا حقٌّ للمسلم علىٰ المسلم، فلا يُساويه الكافر في ذلك، بل يجوزُ للمسلم أن يبتاعَ علىٰ بيع الكافر، ويَخطُبَ علىٰ خِطبته، وهو قولُ الأوزاعيِّ وأحمدَ، كما لا يثبتُ للكافر علىٰ المسلم حقُّ الشُّفعة عنده، وكثيرٌ من الفُقهاء ذهبوا إلىٰ أنَّ النَّهي عامٌّ في حقِّ المسلم والكافر، واختلفوا: هلِ النَّهيُ للتَّحريم، أو للتَّنزيه، فمِنْ أصحابنا من قال: هو للتَّنزيه دونَ التَّحريم، والصَّحيحُ الذي عليه جمهورُ العلماء: أنَّه للتَّحريمِ، واختلفوا: هل يصحُّ البيع علىٰ بيعِ أخيه، أوِ النِّكاحُ علىٰ خِطبته؟ فقال أبو حنيفة والشافعي وأكثر أصحابنا: يَصِحُّ، وقال مالك في النِّكاح: إنَّه إن لم يدخل بها، فُرِّقَ بينهما، وإنْ دخل بها لم يُفرَّقْ.

وقال أبو بكر مِنْ أصحابنا في البيع والنِّكاحِ: إنَّه باطلٌ بكلِّ حالٍ، وحكاه عن أحمد، ومعنىٰ البيع علىٰ بيع أخيه: أنْ يكونَ قد باع منه شيئًا، فيبذُل للمشتري سلعتَه ليشتريها، ويفسخ بيعَ الأوَّلِ، وهل يختصُّ ذلك بما إذا كان البذلُ في مدَّة الخيار، بحيث يتمكَّن المشتري مِنَ الفسخِ فيه، أم هو عامٌّ في مدَّةِ الخيار وبعدَها؟ فيه اختلاف بين العلماء، قد حكاه الإمامُ أحمد في رواية حرب، ومال إلىٰ القول بأنَّه عامٌّ في الحالينِ، وهو قولُ طائفةٍ من أصحابنا. ومنهم من خصَّه

بما إذا كان ذلك في مدَّة الخيار، وهو ظاهرُ كلامِ أحمد في رواية ابن مشيش، ومنصوصُ الشَّافعي ، والأوَّلُ أظهرُ، لأنَّ المشتري وإنْ لم يتمكَّنْ من الفسخ بنفسه بعد انقضاء مدة الخيار فإنَّه إذا رغب في ردِّ السِّلعة الأُولىٰ علىٰ بائعها، فإنَّه يتسبَّب في ردِّها عليه بأنواع من الطُّرق المقتضية لضَرره، ولو بالإلحاح عليه في المسألة، وما أدَّىٰ إلىٰ ضررِ المسلم، كان محرَّمـًا، والله أعلم.(١)

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقوله: «ولا تناجشوا» قال القرطبي: قيل فيه: إنه من باب النجش في البيع الذي تقدم ذكره في "البيوع"، وفيه بعد؛ لأن صيغة تفاعل أصلها لا تكون إلا من اثنين، فالتناجش لا يكون من واحد، والنجش يكون من واحد فافترقا، وإن كان أصلهما واحدًا؛ لأن أصل النجش: الاستخراج، والإثارة، تقول: نجشت النجش: الاستخراج، والإثارة، تقول: نجشت الصيد، أنجشه، نجشًا: إذا استثرته من مكانه، وقيل: «ولا تناجشوا»: لا ينافر بعضكم بعضًا؛ أي لا يعامله من القول بما ينفره كما ينفر الصيد، بل يسكنه، وي } نسه كما قال: (سكنَّوا ولا تنفروا)"متفق عليه.(٢)

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فأما النهي عن الهجران أكثر من ثلاث، إنما كان في هجران الرجل أخاه لعتب وموجدة، أو لنبوة تكون منه، فرخص له في مدة الثلاث؛ لقلتها، وحرم ما وراءها، فأما هجران الوالد الولد، والزوج الزوجة،

---

(١) "جامع العلوم والحكم"٢/ ٢٧٠-٢٧١.

(٢) "المفهم"٦/ ٥٣٥-٥٣٦.

ومن كان في معناهما، فلا يضيق أكثر من ثلاث، وقد هجر رسول الله ﷺ نساءه شهرًا، هذا قول الخطابي، قال البغوي: فأما هجران أهل العصيان، وأهل الريب في الدين، فتشرع إلىٰ أن تزول الريبة عن حالهم، وتظهر توبتهم، قال كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن غزوة تبوك: ونهىٰ النبي ﷺ عن كلامنا، وذكر خمسين ليلة.(١)

وقال الطيبي رحمه الله: قوله: «إخوانًا» يجوز أن يكون خبرًا بعد خبر، وأن يكون بدلًا، أو هو الخبر، وقوله: «عباد الله» منصوب علىٰ الاختصاص، او بالنداء، وهذا الوجه أوقع؛ يعني: أنكم مستوون في كونكم عباد الله تعالىٰ، وملتكم واحدة، فالتحاسد، والتباغض، والتقاطع منافية لحالكم، فالواجب عليكم أن تكونوا إخوانًا متواصلين متألفين، كقوله تعالىٰ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، ونظيره قوله تعالىٰ:﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنبياء:٩٢-٩٣](٢).

قال الحافظ رحمه الله: وهذا الجملة تشبه التعليل لما تقدم، كأنه قال: إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخوانًا، ومفهومه: إذا لم تتركوها تصيروا أعداء؛ ومعنىٰ: (كونوا إخوانًا) اكتسبوا ما تصيرون به إخوانًا مما سبق ذكره، وغير ذلك من

---

(١)- "شرح السنة" ١٠/ ٣٥٨.

(٢) "الكاشف عن حقائق السنن" ١٠/ ٣٢١٠.

الأمور المقتضية لذلك إثباتًا ونفيًا، ولعل قوله في الرواية الزائدة: «كما أمركم الله» أي: بهذه الأوامر المقدم ذكرها، فإنها جامعة لمعاني الإخوة، ونسبتها إلىٰ الله تعالىٰ لأن الرسول ﷺ مبلغ عن الله تعالىٰ ويحتمل أن يكون المراد بقوله: «كما أمركم الله» الإشارة إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات:١٠] فإنه خبر عن الحالة التي شرعت للمؤمنين، فهو بمعنىٰ الأمر.(١)

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دليل خطابه أن الهجرة دون الثلاث معفو عنها، وسببه أن البشر لا بد له غالبًا من سوء خلق وغضب فسامحه الشرع في هذه المدة؛ لأن الغضب فيها لا يكاد الإنسان ينفك عنه، ولأنه لا يمكنه رد الغضب في تلك الحالة غالبًا، وبعد ذلك يضعف، فيمكن رده، بل قد يمحىٰ أثره، وظاهر هذا الحديث تحريم الهجرة فوق ثلاث، وقد أكد هذا المعنىٰ قوله: «لا هجرة بعد ثلاث» وكون المتهاجرين لا يغفر لهما حتىٰ يصطلحا.(٢)

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال العلماء: تحرم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال بالنص، وتباح في الثلاث بالمفهوم، وإنما عفي عنه في ذلك؛ لأن الآدمي مجبول علىٰ الغضب، فسومح بذلك القدر؛ ليرجع، ويزول ذلك العارض، وقال أبو العباس القرطبي: المعتبر ثلاث ليال، حتىٰ لو بدا بالهجرة في أثناء النهار ألغي البعض، وتعتبر ليلة ذلك اليوم، وينقضي العفو بانقضاء الليلة

(١) "الفتح"١٣/ ٦٢٨.

(٢) "المفهم"٦/ ٥٣٢-٥٣٣.

الثالثة: وتعقبه الحافظ قائلًا: وفي الجزم باعتبار الليالي دون الأيام جمود، فقد جاء في رواية بلفظ: «ثلاثة أيام بلياليها»، فالمعتمد أن المرخص فيه ثلاثة أيام بلياليها، فحيث أطلقت الليالي أريد بأيامها، وحيث أطلقت الأيام أريد بلياليها، ويكون الاعتبار مضىٰ ثلاثة أيام بلياليها ملفقة؛ إذا ابتدئت مثلًا من الظهر يوم السبت كان آخرها الظهر يوم الثلاثاء، ويحتمل أن يلغىٰ الكسر، ويكون أول العدد من ابتداء اليوم أو الليلة والأول أحوط.(١)

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: وقال الربيع بن خُثَيْم: لو رأيت رجلاً يُظهر خيراً، ويُسرُّ شرّاً، أحببتَه عليه، آجرَك الله علىٰ حبِّك الخيرَ، ولو رأيت رجلاً يُظهر شرّاً، ويسرُّ خيراً أبغضته عليه، آجرَك الله علىٰ بُغضك الشرَّ، ولمَّا كثُرَ اختلافُ النَّاس في مسائل الدِّين، وكثرَ تفرُّقُهم، كثُر بسببِ ذلك تباغُضهم وتلاعُنهم، وكلٌّ منهم يُظهِرُ أنَّه يُبغض لله، وقد يكونُ في نفس الأمر معذوراً، وقد لا يكون معذوراً، بل يكون متَّبِعـًا لهواه، مقصِّراً في البحث عن معرفة ما يُبغِضُ عليه، فإنَّ كثيراً من البُغض كذلك إنَّما يقعُ لمخالفة متبوع يظنُّ أنَّه لا يقولُ إلاَّ الحقَّ، وهذا الظَّنُّ خطأٌ قطعـًا، وإنْ أُريد أنَّه لا يقول إلاَّ الحقَّ فيما خُولِفَ فيه، فهذا الظنُّ قد يُخطئ ويُصيبُ، وقد يكون الحامل علىٰ الميلِ مجرَّد الهوىٰ، أو الإلفُ، أو العادة، وكلُّ هذا يقدح في أنْ يكون هذا البغضُ لله، فالواجبُ علىٰ المؤمن أن ينصحَ نفسَه، ويتحرَّزَ في هذا غاية التحرُّزِ، وما أشكل، منه، فلا يُدخِلُ نفسَه فيه

---

(١) "الفتح"١٣/ ١٤٣-١٤٤.

خشيةَ أن يقعَ فيما نُهِيَ عنه مِنَ البُغض المُحرَّمِ، وهاهنا أمرٌ خفيٌّ ينبغي التَّفطُّن له، وهو أنَّ كثيراً من أئمَّةِ الدِّينِ قد يقولُ قولاً مرجوحـًا ويكون مجتهداً فيه، مأجوراً علىٰ اجتهاده فيه، موضوعـًا عنه خطؤه فيهِ، ولا يكونُ المنتصِرُ لمقالته تلك بمنْزلته في هذه الدَّرجة؛ لأنَّه قد لا ينتصِرُ لهذا القولِ إلاَّ لكونِ متبوعه قد قاله، بحيث أنَّه لو قاله غيرُه من أئمَّة الدِّينِ، لما قبِلَهُ ولا انتصر له، ولا والىٰ من وافقه، ولا عادىٰ من خالفه، وهو مع هذا يظن أنَّه إنَّما انتصر للحقِّ بمنْزلة متبوعه، وليس كذلك، فإنَّ متبوعه إنَّما كان قصدُه الانتصارَ للحقِّ، وإنْ أخطأ في اجتهاده، وأمَّا هذا التَّابعُ، فقد شابَ انتصارَه لما يظنُّه الحقَّ إرادة علوِّ متبوعه، وظهور كلمته، وأنْ لا يُنسَبَ إلىٰ الخطأ، وهذه دسيسةٌ تَقْدَحُ في قصد الانتصار للحقِّ، فافهم هذا، فإنَّه فَهْمٌ عظيم، والله يهدي مَنْ يشاء إلىٰ صراطٍ مستقيم.(١)

وقال في "الفتح" قال الخطابي وغيره: ليس المراد ترك العمل بالظن الذي تناط به الأحكام غالبًا، بل المراد: تحقيق الظن الذي يضر بالمظنون به، وكذا ما يقع في القلب بغير دليل وذلك أن أوائل الظنون إنما هي خواطر، لا يمكن دفعها، وما لا يقدر عليه لا يكلف به.(٢)

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: المراد بالظن هنا: التهمة التي لا سبب لها، كمن يتهم رجلًا بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها، ولذلك عطف عليه قوله:"

---

(١) "جامع العلوم والحكم"٢/ ٢٦٥-٢٦٨.

(٢) "الأعلام"٣/ ١٩٧٤و٢١٨٩.

ولا تجسسوا" ، وذلك أن الشخص يقع له خاطر التهمة، فيريد أن يتحقق، فيتجسس ويبحث، ويستمع، فنهي عن ذلك، وهذا الحديث يوافق قوله تعالىٰ: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ [الحجرات:١٢]، فدل سياق الآية علىٰ الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة؛ لتقدم النهي عن الخوض فيه بالظن، فإن قال الظان: أبحث لأتحقق من غير تجسس، قيل له: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ [الحجرات:١٢].[1]

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد تقدَّم: أن التقوىٰ مصدر (اتقىٰ): تقاة، وتقوىٰ. وأن التاء فيه بدل من الواو، لأنَّه من الوقاية. والمتقي: هو الذي يجعل بينه وبين ما يخافه من المكروه وقاية تقيه منه، ولذلك يقال: اتقىٰ الطعنة بدرقته وبترسه. ومنه قوله ﷺ: اتقوا النار ولو بشق تمرة، ولو بكلمة طيبة أي: اجعلوا هذه الأمور وقاية بينكم وبين النار. وعلىٰ هذا: فالمتقي شرعا هو الذي يخاف الله تعالىٰ، ويجعل بينه وبين عذابه وقاية من طاعته، وحاجزا عن مخالفته. فإذا: أصل التقوىٰ: الخوف، والخوف إنما ينشأ عن المعرفة بجلال الله، وعظمته، وعظيم سلطانه، وعقابه. والخوف والمعرفة محلهما القلب، والقلب محله الصدر، فلذلك أشار ﷺ إلىٰ صدره وقال: التقوىٰ هاهنا والله تعالىٰ أعلم. والتقوىٰ خصلة عظيمة، وحالة شريفة آخذة بمجامع علوم الشريعة وأعمالها، موصلة إلىٰ خير الدنيا والآخرة. والكلام في التقوىٰ وتفاصيلها، وأحكامها،

---

(١) "الفتح"١٣/ ٦٢٥-٦٢٦.

وبيان ما يترتب عليها يستدعي تطويلا، قد ذكره أرباب القلوب في كتبهم المطولة.(١)

قلت: قوله: (لا يظلمه): أي: لا ينقصه حقه، أو يمنعه إياه وهو خبر بمعنىٰ الأمر فإن ظلم المسلم للمسلم حرام زاد في حديث ابن عمر: ولا يسلمه" أي: لا يتركه مع من يؤذيه ولا فيما يؤذيه بل ينصره ويدفع عنه، وهذا أخص من ترك الظلم، وقد يكون ذلك واجبًا وقد يكون مندوبًا بحسب اختلاف الأحوال، وزاد الطبراني: ولا يسلمه في مصيبة نزلت به.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يخذله» أي: لا يتركه لمن يظلمه، ولا ينصره، وقد قال ﷺ: انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا فقال: كيف أنصره ظالمًا؟ قال: تكفه عن الظلم فذلك نصره.(٢)

قوله: «ولا يحقره» قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كذا رواه السمرقندي والسجزي بالحاء المهملة والقاف من الحقر أي لا يستصغره ويذله ويتكبر عليه ورواه العذري ولا يخفره بالخاء المعجمة والفاء وضم الياء أوله: أي لا يغدره ويخونه يقال: خفرت الرجل: إذا أجرته وأمنته وأخفرت: إذا لم تف له بذمته وغدرته، وكذلك الخلاف في آخر الحديث: «بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه» علىٰ ما تقدم للرواة والصواب أن يكون بالقاف من الاحتقار هنا، وهو

(١) "المفهم"٦/ ٥٣٦-٥٣٧.

(٢) "المفهم"٦/ ٥٣٦.

المروي في غير مسلم انتهىٰ.[(١)]

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: أما كون المسلم أخا المسلم فسبق شرحه قريبا وأما لا يخذله فقال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إذا أمكنه ولم يكن له عذر شرعي ولا يحقره هو بالقاف والحاء المهملة أي لا يحتقره فلا ينكر عليه ويستقله قال القاضي ورواه بعضهم لا يخفره بضم الياء والخاء المعجمة والفاء أي لا يغدر بعهده ولا ينقض أمانه قال والصواب المعروف هو الأول وهو الموجود في غير كتاب مسلم بغير خلاف [(٢)].

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يحقره» أي: لا ينظره بعين الاستصغار، والقلة وهذا إنما يصدر في الغالب ممن غلب عليه الكبر والجهل، وذلك أنه لا يصح له استصغار غيره حتىٰ ينظر إلىٰ نفسه بعين أنه أكبر منه وأعظم، وذلك جهلٌ بنفسه، وبحال المحتقر فقد يكون فيه ما يقتضي عكس ما وقع للمتكبر انتهىٰ.[(٣)]

- **قال ابن حجر الهيتمي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يحقره» بفتح أوله وبالمهملة والقاف، أي لا يستصغر شأنه ويضع من قدره؛ لأن الله تعالىٰ لما خلقه، لم يحقره بل

---

(١) "مشارق الأنوار"١/ ٢١١و"إكمال المعلم" ٨/ ٣١.

(٢)-"شرح النووي علىٰ مسلم" ١٦/ ١٢٠-١٢١.

(٣) "المفهم"٦/ ٥٣٦.

رفعه وخاطبه وكلفه فاحتقاره تجاوز لحد الربوبية في الكبرياء وهو ذنب عظيم، ومن ثم قال ﷺ: «بحسب أمرئ من الشر...إلخ».[١]

- **قال ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يحقره» أي لا يستصغره، ويرىٰ أنه أكبر منه، وأن هذا لا يساوي شيئًا.[٢]

- **وقال القرطبي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحقره» ينظره بين الاستصغار والقلة، وهذا إنما يصدر في الغالب عمن غلب عليه الكبر والجهل، وذلك: أنه لا يصح له استصغار غيره حتىٰ ينظر إلىٰ نفسه بعين: أنه أكبر منه وأعظم وذلك جهلٌ بنفسه وبحال المحتقر فقد يكون فيه ما يقتضي عكس ما وقع للمتكبر.[٣]

- **قال الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي لفظ «ولا يحقره» يعني لا يحتقره ولا يستصغره، حتىٰ وإن كان اكبر منه سنـًا، وإن كان أكثر منه مالاً، وإن كان أغزر منه عالـمـًا فلا يحقره. واحتقار الناس من الكبر- والعياذ بالله - قال النبي ﷺ: " الكبر بطر الحق، وغمط الناس" بطر الحق يعني ردّه، وغمط الناس يعني احتقارهم وازدراءهم فالمسلم يرىٰ أخاه بعين الإكبار ويحترمه ويعظمه، والعامة يقولون: احترام الناس يحترمونك، يعني من راي الناي يعني الاحتقار وأوه بعين الاحتقار ظن ومن رآهم بين الإكثار والإجلال، راوه بعين والإجلال،

---

(١) "الفتح المبين بشرح الأربعين" ص٥٦٠.

(٢) "شرح الأربعين النووية"ص٣٤١.

(٣) "المفهم"٦/ ٦٥٣.

وهذا شيء مشاهد. ولهذا تجد الرجل المتواضع اللين الهين محترمـًا عند الناس كلهم، لا أحد يكرهه، ولا أحد يسبه والإنسان الشامخ بأنفه المستكبر المحتقر لغيره، تجده مكروهـًا مذمومـًا عند الناس، ولولا حاجة الناس إليه إليه إذا كانوا يحتاجون إليه ما كلمه أحد؛ لأنهم يحتقرونه.(١)

- **وقال ابن دقيق العيد** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قوله: ولا يحقره هو بالحاء المهملة والقاف أي لا يتكبر عليه.(٢)

- **وقال إسماعيل الأنصاري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التحذير من تحقير المسلم، فإن الله لم يحقره إذ خلقه وسخر له ما في السماوات وما في الأرض وسماه مسلمًا ومؤمنًا وعبدًا وجعل الرسول منه إليه محمدًا ﷺ فمن حقر مسلمًا من المسلمين فقد حقر ما عظمه الله تعالىٰ.(٣)

-**وقال السيوطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولا يحقره بالحاء المهملة (٤)من الاحتقار وروي بالمعجمة والفاء أي لا يغدر عهده التقوىٰ ها هنا أي أن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوىٰ وإنما تحصل بما يقع في القلب من خشية الله ومراقبته وعظمته أن الله لا ينظر إلىٰ أجسادكم الحديث معنىٰ نظر الله هنا مجازاته

---

(١) شرح رياض الصالحين"٢/ ٥٧١-٥٧٢.

(٢) "شرح الأربعين" ص٨١.

(٣) "شرح الأربعين" ص٨١.

((٤- "شرح مسلم للنووي"٥/ ٥١٠.

ومحاسبته، والمقصود أن الاعتبار في هذا كله بالقلب.

- **قال الشيخ عبدالمحسن العباد حفظه الله وعافاه:** أي كونه يتكلم فيه أيضًا هذا من الغيبة، وكذلك غمط الناس واحتقارهم.(١)

- **وقال الشيخ عبد المحسن العباد:** قوله: «كل المسلم علىٰ المسلم حرام وماله وعرضه» المقصود بقوله: «وعرضه» أنه لا يتكلم في عرضه ولا يغتابه. ثم قال: «حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» أي: كونه يتكلم فيه أيضًا هذا من الغيبة، وكذلك من غمط الناس واحتقارهم.(٢)

- **وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم»، يعني: لو لم يحصل له من الشر غير أن يحقر أخاه المسلم لكان كافيًا، والاحتقار نتيجة للاستكبار ونتيجة للترفع والتعالي بل علىٰ الإنسان أن يوقر الكبير ويرحم الصغير، ولا يحتقر أحدًا من الناس؛ لأن الاحتقار فيه كفر النعمة التي أنعم الله بها علىٰ الإنسان، وقد يكون الاستكبار مع عدم النعمة، وهذا أسوأ كما جاء في الحديث: «ثلاثة لا يكلمهم الله وفيهم عائل مستكبر»؛ لأن الغني يكون مظنة الاستكبار، أما إذا كان يستكبر مع العيلة ومع الفقر؛ فإن ذلك يدل علىٰ خبث في النفس؛ لأن أسباب الاستكبار غير موجودة.(٣)

---

(١) "شرح سنن أبي دواد"٥/ ١٩.

(٢) "شرح سنن أبي دواد" للعباد١٩/ ٥٥٥.

(٣) "شرح الأربعين" ٤/ ٣١.

- **قال العلامة ابن رجب الحنبلي** رَحِمَهُ اللَّهُ: وَمِنْ ذَلِكَ: احْتِقَارُ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ، وَهُوَ نَاشِئٌ عَنِ الْكِبْرِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ» خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَخَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «الْكِبْرُ سَفَهُ الْحَقِّ وَازْدِرَاءُ النَّاسِ» ، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَغَمْصُ النَّاسِ» وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةُ: «فَلَا يَرَاهُمْ شَيْئًا» وَغَمْصُ النَّاسِ: الطَّعْنُ عَلَيْهِمْ وَازْدِرَاؤُهُمْ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [الحجرات:١١]، فَالْمُتَكَبِّرُ يَنْظُرُ إِلَى نَفْسِهِ بِعَيْنِ الْكَمَالِ، وَإِلَى غَيْرِهِ بِعَيْنِ النَّقْصِ، فَيَحْتَقِرُهُمْ وَيَزْدَرِيهِمْ، وَلَا يَرَاهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يَقُومَ بِحُقُوقِهِمْ، وَلَا أَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ مِنْهُمُ الْحَقَّ إِذَا أَوْرَدَهُ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ ﷺ: «التَّقْوَى هَاهُنَا يُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» : فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ كَرَمَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللهِ بِالتَّقْوَى، فَرُبَّ مَنْ يَحْقِرُهُ النَّاسُ لِضَعْفِهِ، وَقِلَّةِ حَظِّهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَهُوَ أَعْظَمُ قَدْرًا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِمَّنْ لَهُ قَدْرٌ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّمَا النَّاسُ يَتَفَاوَتُونَ بِحَسَبِ التَّقْوَى، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].(١)

- **وقال ابن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ: قوله ﷺ: بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" يعني : يكفيه من الشر احتقار أخيه المسلم فإنه إنما يحتقر أخاه المسلم لتكبره عليه والكبر من أعظم خصال الشر.(٢)

---

(١) "جامع العلوم والحكم"٢/ ٢٧٥.

(٢) "جامع العلوم والحكم"٢/ ٢٧٨.

- **وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** وقوله عليه الصلاة والسلام: بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. يعني لو لم يكن للإنسان من الشر إلا أن يحقر أخاه لكان كافيًا، وهذا يدل علىٰ كثرة إثم من حقر إخوانه المسلمين؛ لأن الواجب علىٰ المسلم أن يعظم إخوانه المسلمين ويكبرهم ويعتقد لهم منزلة في قلبه، وأما احتقارهم وازدراؤهم فإن ذلك من الإثم ما يكفر- نسأل الله السلامة.(١)

- **وقال ابن الأمير الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «ولا يحقره» من الاحتقار يقال: حقره كضرب وكرم، وهم الإذلال. قوله: بحسب أمرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم. أي يكفيه من الشر إذلاله أخاه، والمراد من الشر في دينه، ثم أتىٰ بأعم من كل ذلك فقال: كل المسلم علىٰ المسلم حرام ماله.(٢)

- **قال الشيخ عبدالمحسن العباد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وكونوا عباد الله إخوانًا» أي: أن هذه الأمور التي مرت والتي جاء النهي عنها تنافي مقتضىٰ الأخوة، بل علىٰ المسلمين أن يكونوا إخوة متآلفين متحابين، لا يتحاسدون ولا يتباغضون، ولا يسعىٰ بعضهم إلىٰ أن يظلم أحداً بزيادة في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها، وكذلك التدابر، وهو أن يلتقيا فيولي كل واحد منهما صاحبه دبره، لا يريد أن يلقاه لما بينهما من الوحشة والعداوة. قوله: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه» أي: من مقتضيات هذه الأخوة أنه لا يعمل معه عملاً يكون ظالمـًا له فيه، بأي

---

(١) شرح رياض الصالحين"٢/ ٥٨٨.

(٢) "التحبير"٦/ ٤٩٢.



نوع من أنواع الظلم، وفي الحديث القدسي الذي رواه أبو ذر: «يا عبادي إني حرمت الظلم علىٰ نفسي وجعلته بينكم محرمـًا فلا تظالموا». فمقتضىٰ الأخوة ألا يحصل الظلم منه لأخيه، بل عليه أن يسلمه من ظلمه وألا يصل إليه ظلمه، وإنما يصل إليه منه العدل والإحسان، وقد جاء في الحديث: «انصر أخاك ظالمـًا أو مظلومـًا، قال: أنصره مظلومـًا فكيف أنصره ظالمـًا؟! قال: تمنعه من الظلم»، فشأن المسلم أنه لا يظلم أخاه المسلم. قوله: «ولا يخذله» أي: لا يترك نصرته وهو قادر علىٰ نصرته. فنصرته مظلومـًا بأن يكون عونـًا له علىٰ خصمه لمنع الظلم عنه، وأما إن كان ظالمـًا فنصرته بأن يمنعه من الظلم وأن يحول بينه وبين الظلم؛ لأنه بذلك يحسن إلىٰ المظلوم بأن يخلصه من ظلم الظالم، ويحسن إلىٰ الظالم بأن يمنعه من الظلم ويحول بينه وبين الظلم، فيكون في ذلك أفاده بسلامته من الظلم الذي هو خطير وعظيم عند الله. قوله: «لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه» أي: لا يكذب عليه إذا حدثه بحديث، وإنما يصدقه الحديث إذا حدثه. قوله: «ولا يحقره»، وهذا من مقتضيات التكبر والاستكبار، هو الذي يحصل معه الاحتقار. قال: «التقوىٰ هاهنا، وأشار إلىٰ صدره ثلاث مرات» معناه: أن التقوىٰ تكون في القلوب، وإذا كانت التقوىٰ في القلوب ظهرت علىٰ الأعضاء، كما جاء عن بعض السلف: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكنه ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال»، وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد

الجسد كله، ألا وهي القلب».[١]

- **وقال الشيخ عبد المحسن العباد أيضًا:** قوله: «كل المسلم علىٰ المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»، وهذا مما خطب به الرسول ﷺ في حجة الوداع حيث سأل الناس وهو يخطبهم: أي شهر هذا؟ أي بلد هذا؟ أي يوم هذا؟ أي بلد هذا؟ وفي كلها يقولون: يوم حرام بلد حرام شهر حرام، فقال عليه الصلاة والسلام: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا».

وهذا يدلنا علىٰ خطورة هذه الأشياء وأن الإخلال فيها ضرره كبير وأثره عظيم؛ لأنه إعتداء علىٰ الناس في أنفسهم وفي أموالهم وأعراضهم، ولهذا قال: «بحسب امرئٰ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم علىٰ المسلم حرام، دمه وماله وعرضه».[٢]

- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ. قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ»[٣].

«غمط النعمة» من باب فهم وضرب ولم يشكرها، يقال: غمط عيشه أي

(١) "شرح الأربعين" ص١١٩.

(٢) "شرح الأربعين النووية" العباد ١/ ٣٢.

(٣) رواه مسلم ٩١.

بطره وحقره، و«غمط» الناس الاحتقار لهم والازدراء بهم، وفي الحديث: إنما ذلك من سفه الحق وغمط الناس.[١]، وفي "معجم اللغة العربية المعاصرة "٢/ ١٦٤٣: غمط يغمط غمطًا فهو غامط، والمعفول مغموط، غمط الحق: أنكره، وهو يعلمه" لا تغمط حوق الناس". غمط النعمة: أنكرها، ولم يشكرها، جحدها، بطرها" لا تغمط النعمة فقد تحرمها. غمط خصمه: احتقره، استصغره، ازدراه "لا تغمطه ولو كان صغيرًا"، غمط حقه: سلبه منه، أنكره وهو يعلمه. غمط يغمط غمطًا فهو غامط، والمفعول مغموط. غمط النعمة: غمطها أنكرها ولم يشكرها جحدها، بطرها. غمط الحق: غمطه أنكره وهو يعلمه، غمط خصمه: غمطه، احتقره، واستصغره وازدراه "معجم اللغة العربية".

- **قال الأزهري** رَحِمَهُ اللهُ: وَقَالَ أَبُو زيد: امَّغطَ النَّهار امِّغاطـًا: إِذا امتدَّ، ومَغَطَ الرجل الْقوس مَغْطـًا إِذا مدَّها بالوترِ. وَقَالَ ابْن شُمَيْل: شَدَّ مَا مَغَّطَ فِي قوسِهِ: إِذا أغْرَقَ فِي نزع الوَترِ ومدِّه ليبعدَ السهْم، وَوصف عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النبيَّ ﷺ فَقَالَ: «لم يكن بالطويل المُمَغَّطِ، وَلَا بالقصير المتردد»: لم يكن بالطويل الْبَائِن الطول، «وَلكنه كَانَ رَبْعةً بَين الرَّجُلين».

وَقَالَ أَبُو عبيد: قَالَ الْأَصْمَعِي: المُمَغَّط، والْمُمَهَّكُ: الطَّوِيل. غمط: قَالَ اللَّيْث: غَمطَ النِّعْمَة والعافية إِذا لم يشكرها. وَقَالَ أَبُو عبيد: الغمط للنَّاس: الاحتقار لَهُم والازدراءُ بهم: وَمَا أشبه ذَلِك. يُقَال: غمَط النَّاس وغمَصهم. وَفِي

(١) "الصحاح" ص٢٣٠.

حَدِيث النَّبِي ﷺ أنه قَالَ لمَالِك بن مرَارَة: (الكِبرُ أَن تَسْفَهَ الحقَّ وتَغمِطَ النَّاس) وَمَعْنَاهُ: احتقارُ الناسِ والإزْراءُ بهم.(١)

- **قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:** ومَن غمطَ الناسَ فاحتقرهم وازدراهم بغير حق فإنه يضطرّ إلىٰ أن يُعظّم آخرين بالباطل، وهذا من الشرك. فمَن غَمَطَ الناسَ جَحدَ حقَّهم ليُعظم نفسه بذلك، وهذا هو الاستكثار والاختيال، فلا بدَّ له ممن يُعينه علىٰ استكباره واختياله للشرك به، وهو يفرح بمن يحمده ويثني عليه ويعظمه، ويَشْنَأ من يَذُمه ويُبغِضه ويعيبه، فيكون من أعظم رياء وسمعة، والرياء والسمعة من الشرك، فالمستكبر من أعظم الناس شركًا ورياءً وسمعةً. وإبليس هو الذي يُزيِّن كلَّ شركٍ وكلَّ كبرٍ لبني آدم، وينفخ في أحدهم حتىٰ يتعاظم، ويدعوهم إلىٰ الإشراك بالله ويأمرهم بذلك.(٢)

- **قال البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ:** وقوله: «غمط الناس» يعني يحتقرهم.(٣)

- **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:** فالفخر يشبه غمط فإن كليهما تكبر علىٰ الناس، وأما بطر الحق- وهو جحده ودفعه- فيشبه الاختيال الباطل فإنه تخيل أن الحق باطل بجحده ودفعه، ثم هنا وجهان: احدهما أن يجعل الاختيال وبطر الحق من باب الاعتقادات وهو أن يجعل الحق باطلًا والباطل حقًا فيما

(١) "تهذيب اللغة"٨/ ٥٧.

(٢) "جامع المسائل"٦/ ٢٢٨.

(٣) "شعب الإيمان"١٠/ ٤٦٣.

يتعلق بتعظيم النفس وعلو قدرها فيجحد الحق الذي يخالف هواها وعلوها ويتخيل الباطل الذي يوافق هواها وعولها ويجعل الفخر وغمط الناس من باب الإرادات فإن الفاخر يريد أن يرفع نفسه ويضع غيره وكذلك غامط الناس.(١)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فبطر الحق دفعه وجحده، وغمط الناس احتقارهم، وازدراؤهم وهذا حال من يريد العلوم والفساد.(٢)

- **وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** فكم ممن يريد العلو ولا يزيده ذلك إلا سفولًا، وكم ممن جعل من الأعلين وهو لا يريد العلو ولا الفساد؛ وذلك لإن إرادة العلو علىٰ الخلق ظلم؛ لأن الناس من جنس واحد فإرادة الإنسان أن يكون هو الأعلىٰ ونظيره تحته ظلم ومع أنه ظلم فالناس يبغضون من يكون كذلك ويعادونه؛ لأن العادل منهم لا يحب أن يكون مقهورًا لنظيره وغير العادل منهم يؤثر أن يكون هو القاهر ثم إنه مع هذا لا بد له – في العقل والدين– من أن يكون بعضهم فوق بعض.(٣)

- **وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** وغمط الناس يعني احتقارهم فيرىٰ نفسه أنه فوق الناس، هذا هو الكبر– والعياذ بالله– ومعلوم أن من غمط الحق وازدراه فإنه لا يأخذ به، إذ كيف يأخذ بشيء يرىٰ أنه نقيصة، وكذلك من غمط الناس فإنه لا

(١) " مجموع الفتاوىٰ"١٥/ ٢٢٥.

(٢) "مجموع الفتاوىٰ"٢٨/ ٣٩٣.

(٣) "مجموع الفتاوىٰ"٢٨/ ٣٩٣.

يعدل فيه، بل يعاملهم بالكبرياء- والعياذ بالله- فيكون الطبع حقيقيًا بمثل هذا القلب، وقد أخبر النبي ﷺ أنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة خردلٍ من كبر.(١)

«وغمط الناس» أي: احتقارهم، وهو بفتح الغين المعجمة، وإسكان الميم وبالطاء المهملة قال في" النهاية": "الغمط" الاستعانة والاستحقار وهو مثل الغمص- بالصاد يقال: غمط يقمط- بالكسر في الماضي والفتح في المضارع- وغمط يغمط- بالفتح في الماضي والكسر في المضارع.(٢)

- **قال ابن منظور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: غمط: غَمْطُ الناسِ: احْتِقارُهم والإِزْراءُ بِهِمْ وَمَا أَشبه ذَلِكَ. وغَمَطَ الناسَ غَمْطاً: احْتَقَرَهم واسْتَصْغَرهم، وكذلك غَمَصَهم، وَفِي الْحَدِيثِ: إِنّما ذَلِكَ مَن سَفِهَ الحقَّ وغمَط الناسَ، يَعْنِي أَن يَرَىٰ الحقَّ سَفَهاً وجَهْلًا ويَحْتَقِرَ الناسَ أَي إِنما البغْيُ فِعْلُ مَن سَفِهَ وَغَمَطَ، وَرَوَاهُ الأَزهري: الكِبْرُ أَن تَسْفَهَ الحقَّ وتَغْمَطَ الناسَ؛ الغَمْطُ: الاسْتِهانة والاسْتِحقارُ، وَهُوَ مِثْلُ الغَمْصِ. وغَمِطَ النِّعْمةَ والعافيةَ، بِالْكَسْرِ، يَغْمَطُها غَمْطاً: لَمْ يَشْكُرها. وغَمِطَ عَيْشَه وغَمَطَه، بِالْفَتْحِ أَيضاً، يَغْمِطُه غَمْطاً، بِالتَّسْكِينِ فِيهِمَا: بَطِرَه وحَقَرَه. وَقَالَ بَعْضُ الأَعراب: اغْتَمَطْتُه بِالْكَلَامِ واغْتَطَطْتُه إِذا عَلَوْتَه وقَهَرْتَه. وغَمِطَ الحقَّ: جَحده. وغَمِطَه غَمْطاً: ذَبحه. والغَمْطُ: المطمئنُّ مِنَ الأَرض كالغَمْضِ.

(١) تفسير سورة غافر" ص٢٩٠.

(٢) "النهاية"٣/ ٣٨٧.

وتَغَمَّطَ عَلَيْهِ ترابُ البيتِ أَي غَطَّاه حَتَّىٰ قتلَه. والغَمْطُ والمُغامَطةُ فِي الشُّرْب: كالغَمْجِ، وَالْفِعْلُ يُغامِطُ؛ قَالَ الشَّاعِرُ: غَمْط غَمالِيطَ غَمَلَّطات.[1]

- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان:١٨] وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ { الْكِبرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ } فَالْفَخْرُ يُشْبِهُ غَمْطَ النَّاسِ فَإِنَّ كِلَيْهِمَا تَكَبُّرٌ عَلَىٰ النَّاسِ. وَأَمَّا بَطَرُ الْحَقِّ - وَهُوَ جَحْدُهُ وَدَفْعُهُ - فَيُشْبِهُ الِاخْتِيَالَ الْبَاطِلَ فَإِنَّهُ تَخَيَّلَ أَنَّ الْحَقَّ بَاطِلٌ بِجَحْدِهِ وَدَفْعِهِ. ثُمَّ هُنَا وَجْهَانِ: " أَحَدُهُمَا " أَنْ يَجْعَلَ الِاخْتِيَالَ وَبَطَرَ الْحَقِّ مِنْ بَابِ الِاعْتِقَادَاتِ وَهُوَ أَنْ يَجْعَلَ الْحَقَّ بَاطِلًا وَالْبَاطِلَ حَقًّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَعْظِيمِ النَّفْسِ وَعُلُوِّ قَدْرِهَا فَيَجْحَدُ الْحَقَّ الَّذِي يُخَالِفُ هَوَاهَا وَعُلُوَّهَا وَيَتَخَيَّلُ الْبَاطِلَ الَّذِي يُوَافِقُ هَوَاهَا وَعُلُوَّهَا وَيَجْعَلُ الْفَخْرَ وَغَمْطَ النَّاسِ مِنْ بَابِ الْإِرَادَاتِ فَإِنَّ الْفَاخِرَ يُرِيدُ أَنْ يَرْفَعَ نَفْسَهُ وَيَضَعَ غَيْرَهُ وَكَذَلِكَ غَامِطُ النَّاسِ. يُؤَيِّدُ هَذَا مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ المجاشعي عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إنَّهُ أُوحِيَ إلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ» فَبَيَّنَ أَنَّ التَّوَاضُعَ الْمَأْمُورَ بِهِ ضِدَّ الْبَغْيِ وَالْفَخْرِ. «وَقَالَ فِي الْخُيَلَاءِ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللهُ: الِاخْتِيَالُ فِي الْفَخْرِ وَالْبَغْيِ» فَكَانَ فِي ذَلِكَ مَا دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ الِاسْتِطَالَةَ عَلَىٰ النَّاسِ إنْ كَانَتْ بِغَيْرِ حَقٍّ فَهِيَ بَغِيٌّ؛ إذْ الْبَغْيُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ. وَإِنْ كَانَتْ بِحَقٍّ فَهِيَ الْفَخْرُ؛ لَكِنْ يُقَالُ عَلَىٰ هَذَا: الْبَغْيُ يَتَعَلَّقُ بِالْإِرَادَةِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ هُوَ مِنْ بَابِ الِاعْتِقَادِ وَقَسِيمُهُ مِنْ

(١) "لسان العرب"٧/ ٣٦٤.

بَابِ الْإِرَادَةِ بَلِ الْبَغْيُ كَأَنَّهُ فِي الْأَعْمَالِ وَالْفَخْرُ فِي الْأَقْوَالِ أَوْ يُقَالُ: الْبَغْيُ بَطَرُ الْحَقِّ وَالْفَخْرُ غَمْطُ النَّاسِ.

الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَا جَمِيعًا مُتَعَلِّقَيْنِ بِالِاعْتِقَادِ وَالْإِرَادَةِ لَكِنَّ الْخُيَلَاءَ غَمْطُ الْحَقِّ يَعُودُ إِلَىٰ الْحَقِّ فِي نَفْسِهِ الَّذِي هُوَ حَقُّ اللهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَتَعَلَّقُ بِهِ حَقُّ آدَمِيٍّ وَالْفَخْرُ وَغَمْطُ النَّاسِ يَعُودُ إِلَىٰ حَقِّ الْآدَمِيِّينَ؛ فَيَكُونُ التَّنْوِيعُ لِتَمْيِيزِ حَقِّ الْآدَمِيِّينَ مِمَّا هُوَ حَقٌّ لِلَّهِ لَا يَتَعَلَّقُ (بـ) الْآدَمِيِّينَ؛ بِخِلَافِ الشَّهْوَةِ فِي حَالِ الزِّنَا وَأَكْلِ مَالِ الْغَيْرِ: فَلَمَّا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء:٣٦].(١)

- **قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقال بعض العلماء: البطر: التكبر عن الحق مع غمط الناس حقوقهم.

قال بعضهم: البطر: سوء احتمال النعمة، فمَنْ أنْعَمَ الله عليه نعمة وصار يعمل فيها عمل الإسراف فيما لا يرضي فهو مِن البَطِرينَ. وعلىٰ كل حال فهم بطرون؛ لأنهم تكبروا عن قبول الحق، وغمطوا الناس حقوقهم، وجاءوا في فخر وخيلاء. وفي قصة بدر أن النبي ﷺ لما رآهم متصوِّبينَ مِنْ كَثِيب بدر قال: «اللَّهُمَّ هَذِهِ قُرَيْشٌ أَقْبَلَتْ تَحَادُّكَ وتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، هَذِهِ قُرَيْشٌ أَقْبَلَتْ بِفَخْرِهَا وَخُيَلائِهَا - وهو محل الشاهد - تحادّك وتكذب رَسُولَكَ، اللَّهُمَّ أَحْنِهِمُ الغَدَاةَ» كما هو معروف في محله. وهذا معنىٰ قوله: ﴿كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرٗا وَرِئَآءَ

(١) "مجموع الفتاوىٰ" ١٤/ ٢٢٠-٢٢١.

ٱلنَّاسِ﴾ [الأنفال:٤٧] هم أبو جهل وأصحابه من النفير الذين قُتل أشرافهم، وأسروا علىٰ شفير بدر كما هو معروف.(١)

- **وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** وأما المستكبر فهو الذي جمع بين وصفين، غمط الناس، وبطر الحق؛ لأن النبي ﷺ قال: الكبر بطر الحق وغمط الناس. وبطر الحق الحق يعني رده، وغمط الناس، يعني احتقارهم، فهو في نفسه عال علىٰ الحق، وعال علىٰ الخلق، لا يلين للحق ولا يرحم الخلق والعياذ بالله، فهذه علامات أهل النار نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من النار وأن يدخلنا وإياكم الجنة إنه جواد كريم.(٢)

- **قال ابن هبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** قد فسر رسول الله - ﷺ - في هذا الحديث الكبر بقوله - ﷺ - الكبر: بطر الحق وغمط الناس. وبطر الحق: التكبر عن الإقرار به، والطغيان في دفعه. وقال أبو عبيدة: غمط الناس الاحتقار لهم والإزراء بهم، ومثله غمض الناس (بالضاد) وكشف هذا أن العبد إذا قال لا إله إلا الله وسجد لله عز وجل ولم يحتقر الناس فقد برئ من ذلك. والكبر الذي يكون مثقال ذرة منه يحرم الجنة ويوجب النار هو الكبر عن عبادة الله عز وجل، فأما تكبر الآدميين بعضهم علىٰ بعض من قبيل الفخر بالآباء والبيوت ونحو ذلك فهو الذي أخرج إبليس من الجنة، والجدير بمن يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعتقد

---

(١) "العذب النمير"٥/ ٩٢.

(٢) "شرح رياض الصالحين"٣/ ٥١.

الإسلام دينًا أن لا يفخر بنسب بعد أن سمع الله عز وجل يقول ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات:١٣] يعني سبحانه وتعالىٰ أن الناس كلهم ينسبون إلىٰ آدم وحواء، ثم قال سبحانه بعد ذلك: ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات:١٣] وما قال لتفاخروا، ثم أخبر سبحانه أن المعنىٰ الذي تطمح إليه نفوسكم إنما هو راجع إلىٰ التقوىٰ فقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

فالتكبر علىٰ عباد الله من أقبح الخلال إلا أنه ليس في الشر كالتكبر علىٰ عبادة الله عز وجل.(١)

- وهذا سؤال وجه للعلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بارك الله فيكم المستمع يحي يقول ما هو الكبر وكيف يكون الإنسان متكبراً؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: الكبر فسره النبي ﷺ بقوله: «بطر الحق وغمط الناس» فمعنىٰ بطر الحق يعني رده أن يرد الإنسان الحق مثل أن يقول قولاً ثم يقال له إن النبي ﷺ قال كذا وكذا أعني خلاف قول هذا الرجل ولكنه يرد ما قاله الرسول ويبقىٰ علىٰ قوله هذا كبر وهذا من أعظم أنواع الكبر لأنه رد لقول الرسول ﷺ وكذلك لو قيل له قال الله كذا وكذا خلاف ما يقول هو وأصر علىٰ قوله فهذا كبر وهو أعظم أنواع الكبر لأنه رد لقول الله تبارك وتعالىٰ هذا قسم من أقسام الكبر رد الحق وكذلك لو

(١) " الإفصاح عن معاني الصحاح"٢/ ١٠٠-١٠١.

كان الإنسان مجتهداً في حكم من الأحكام فنوقش فيه وتبين أن الحق في خلاف قوله وإن لم يكن نصـًا في المخالفة ولكنه أصر علىٰ ما يقول فهذا أيضـًا من الكبر. الثاني غمط الناس يعني احتقارهم وازدراؤهم بحيث لا يرىٰ الناس شيئـًا ويرىٰ أنه فوق الناس فإن هذا من الكبر وعلامته أن يصعر خده للناس وأن يمشي في الأرض مرحا وأن يتخيل أنه فوق رؤوس الجبال وأن الناس في قعر الآبار هذا من الكبر ولما قال الصحابة لرسول الله ﷺ إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنـًا ونعله حسنـًا قال النبي ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس» وعلىٰ هذا فتجمل الإنسان في ثيابه التي علىٰ الجسد أو التي يركبها وهي النعال ليس من الكبر في شيء إلا أن يصحبه ما أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام بكونه يغمط الناس أو يحتقرهم فيحتقر من لم يلبس مثل لباسه ويحتقر الفقراء وما أشبه ذلك فهذا كبر.[(١)]

- **وقال ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فقوله: بطر الحق. تكبر عن الحق و"غمط الناس" تكبر علىٰ الخلق وأعظمها الأول وهو التكبر عن الح؛ لأن الثاني داخل فيه فإن التكبر علىٰ الخلق تكبر عن الحق، إذ إن الحق يأمرك أن تكون متواضعًا.[(٢)]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بطر الحق» جحده ودفعه و«غمط الناس» ازدراؤهم واحتقارهم فمن في قلبه مثقال ذرة من هذا، يجوب له أن

---

(١) "فتاوىٰ نور علىٰ الدرب"٢/ ٢٤.

(٢) "تفسير سورة الزمر" ص٤٢٤.

يجحد الحق الذي يجب عليه أن يقر به، وأن يحتقر الناس فيكون ظالمًا لهم معتديًا عليهم، فمن كان مضيعًا للحق الواجب ظالمًا للخلق، لم يكن من أهل الجنة، ولا مستحقًا لها، بكل يكون من أهل الوعيد.(١)

- **قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ:** التَّكَبُّرُ وَالتَّجَبُّرُ فَإِنَّهُ مَفْسَدَةٌ نَفْسِيَّةٌ عَظِيمَةٌ تَتَوَلَّدُ مِنْهَا مَفَاسِدُ جَمَّةٌ مِنِ احْتِقَارِ النَّاسِ وَالِاسْتِخْفَافِ بِحُقُوقِهِمْ وَسُوءِ مُعَاشَرَتِهِمْ وَبَثِّ عَدَاوَتِهِ فِيهِمْ، وَسُوءِ ظَنِّهِ بِهِمْ وَأَنْ لَا يَرْقُبَ فِيهِمْ مُوجِبَاتِ فَضْلٍ سِوَىٰ مَا يُرْضِي شَهْوَتَهُ وَغَضَبَهُ، فَإِذَا انْضَمَّ إِلَىٰ ذَلِكَ أَنَّهُ وَلِيُّ أَمْرِهِمْ وَرَاعِيهِمْ كَانَتْ صِفَةُ الْكِبَرِ مُقْتَضِيَةً سُوءَ رِعَايَتِهِ لَهُمْ وَالِاجْتِرَاءَ عَلَىٰ دَحْضِ حُقُوقِهِمْ، وَأَنْ يَرْمُقَهُمْ بِعَيْنِ الِاحْتِقَارِ فَلَا يَعْبَأَ بِجَلْبِ الصَّالِحِ لَهُمْ وَدَفْعِ الضُّرِّ عَنْهُمْ، وَأَنْ يَبْتَزَّ مَنَافِعَهُمْ لِنَفْسِهِ وَيُسَخِّرَ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْهُمْ لِخِدْمَةِ أَغْرَاضِهِ وَأَنْ لَا يَلِينَ لَهُمْ فِي سِيَاسَةٍ فَيُعَامِلَهُمْ بِالْغِلْظَةِ وَفِي ذَلِكَ بَثُّ الرُّعْبِ فِي نُفُوسِهِمْ مِنْ بَطْشِهِ وَجَبَرُوتِهِ، فَهَذِهِ الصِّفَةُ هِيَ أَمُّ الْمَفَاسِدِ وَجِمَاعُهَا وَلِذَلِكَ قُدِّمَتْ عَلَىٰ مَا يُذْكَرُ بَعْدَهَا ثُمَّ أُعْقِبَتْ بِأَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ.(٢)

- **قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:** فعلىٰ الشباب ألا يتعصبوا للأشخاص، بل يأخذوا الحق ممن جاء به كائنًا من كان وألا يجعلوا الخلاف يقودهم إلىٰ

---

(١) "مجموع الفتاوىٰ"٧/ ٦٧٧.

(٢) "التحرير والتنوير"٢٠/ ٦٨.

احتقار الآخرين وهتك أستارهم وغيبتهم؛ فإن هذا مما لا يجوز بحال.[(١)]

وقال شيخنا الفقيه محمد بن حزام البعداني عن الحديث الذي رواه مسلم: «لا تحاسدوا ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم علىٰ بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره التقوىٰ ها هنا- ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم علىٰ المسلم حرام: دمه وماله ، وعرضه» الآداب المستفادة من الحديث: في هذا الحديث العظيم فوائد كثيرة، ففيه تحريم الحسد، وقد تقدم الكلام عليه في أول الباب، وفيه تحريم التباغض بين المسلمين، والتدابر بينهم، وهو الإعراض، والهجر، مأخوذ من أن يولي كل واحد صاحبه دبره، وفيه تحريم البيع علىٰ بيع أخيه، وقد ذكرنا ذلك في السوء. وفيه تحريم احتقار الرجل لأخيه المسلم، وغيه عظم حق المسلم علىٰ المسلم في دمه وماله وعرضه.[(٢)]

- عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: " يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّىٰ يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ،

(١) "مجموع ورسائل العثميمين"٢٦/ ٢٦٨.

(٢) "فتح العلام في دراسة أحاديث بلوغ المرام"١٠/ ٥٨٢.

يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ(١).

- قال الملا علي قاري في شرح الحديث: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ أَمْثَالَ الذَّرِّ» أَيْ: فِي الصِّغَرِ وَالْحَقَارَةِ «يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ» أَيْ: مِنْ جِهَةِ وُجُوهِهِمْ أَوْ مِنْ حَيْثِيَّةِ هَيْئَتِهِمْ مِنِ انْتِصَابِ الْقَامَةِ «يَغْشَاهُمْ» أَيْ: يَأْتِيهِمِ «الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ» أَيْ: مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي غَايَةٍ مِنَ الْمَذَلَّةِ وَالنَّقِيصَةِ يَطَؤُهُمْ أَهْلُ الْمَحْشَرِ بِأَرْجُلِهِمْ مِنْ هَوَانِهِمْ عَلَىٰ اللهِ، كَمَا سَيَأْتِي فِي رِوَايَةِ الْجَامِعِ، هَذَا وَفِي النِّهَايَةِ: الذَّرُّ النَّمْلُ الْأَحْمَرُ الصَّغِيرُ وَاحِدُهَا ذَرَّةٌ، وَقِيلَ: الذَّرَّةُ يُرَادُ بِهَا مَا يُرَىٰ فِي شُعَاعِ الشَّمْسِ الدَّاخِلَ فِي النَّافِذَةِ. قُلْتُ: نَعَمْ قَدْ يُرَادُ بِهَا، بَلِ الظَّاهِرُ أَنَّهُ الْمُرَادُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [الزلزلة:٨] كَمَا أَنَّهُ الْمُرَادُ جَزْمًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء:٤٠]، وَأَمَّا إِرَادَةُ هَذَا الْمَعْنَىٰ فِي هَذَا الْمَقَامِ، فَغَيْرُ صَحِيحٍ لِقَوْلِهِ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَقَالِ. قَالَ التُّورِبِشْتِيُّ: يُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَىٰ الْمَجَازِ دُونَ الْحَقِيقَةِ أَيْ: أَذِلَّاءَ مُهَانِينَ يَطَؤُهُمُ النَّاسُ بِأَرْجُلِهِمْ، وَإِنَّمَا مَنَعَنَا عَنِ الْقَوْلِ بِظَاهِرِهِ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ: " «إِنَّ الْأَجْسَادَ تُعَادُ عَلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَجْزَاءِ حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يُحْشَرُونَ غُرْلًا يُعَادُ مِنْهُمْ مَا انْفَصَلَ عَنْهُمْ مِنَ الْقُلْفَةِ» " وَإِلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ أَشَارَ بِقَوْلِهِ: يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ. قَالَ الْأَشْرَفُ: إِنَّمَا قَالَ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ بَعْدَ قَوْلِهِ: أَمْثَالَ الذَّرِّ قَطْعًا مِنْهُ حَمْلَ قَوْلِهِ أَمْثَالَ الذَّرِّ عَلَىٰ الْحَقِيقَةِ، وَدَفْعًا لِوَهْمِ مَنْ يَتَوَهَّمُ

---

(١) "مسند أحمد"٦٦٧٧ وإسناده حسن.

أَنَّ الْمُتَكَبِّرَ لَا يُحْشَرُ فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ وَتَحْقِيقًا لِإِعَادَةِ الْأَجْسَادِ الْمَعْدُومَةِ عَلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَجْزَاءِ. وَقَالَ الْمُظْهِرُ: يَعْنِي صُوَرُهُمْ صُوَرُ الْإِنْسَانِ، وَجُثَّتُهُمْ كَجُثَّةِ الذَّرِّ فِي الصِّغَرِ.

قَالَ الطِّيبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَفْظُ الْحَدِيثِ يُسَاعِدُ هَذَا الْمَعْنَىٰ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: أَمْثَالَ الذَّرِّ تَشْبِيهٌ لَهُمْ بِالذَّرِّ، وَلَا بُدَّ مِنْ بَيَانِ وَجْهِ الشَّبَهِ، لِأَنَّهُ يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ الشَّبَهِ الصِّغَرَ فِي الْجُثَّةِ، وَأَنْ يَكُونَ الْحَقَارَةَ وَالصَّغَارَ، فَقَوْلُهُ فِي صُوَرِ الرِّجَالِ بَيَانٌ لِلْوَجْهِ وَدَفْعُ وَهْمِ مَنْ يَتَوَهَّمُ خِلَافَهُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: إِنَّ الْأَجْسَادَ تُعَادُ عَلَىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْأَجْزَاءِ، فَلَيْسَ فِيهِ أَنْ لَا تُعَادَ تِلْكَ الْأَجْزَاءُ الْأَصْلِيَّةُ فِي مِثْلِ الذَّرِّ، لِأَنَّهُ تَعَالَىٰ قَادِرٌ عَلَيْهِ، وَفِيهِ الْخِلَافُ الْمَشْهُورُ بَيْنَ الْأُصُولِيِّينَ، وَعَلَىٰ هَذَا الْحَقَارَةُ مَلْزُومُ هَذَا التَّرْكِيبِ، فَلَا يُنَافِي إِرَادَةَ الْجُثَّةِ مَعَ الْحَقَارَةِ اهـ.

وقال الملا علي قاري رَحِمَهُ اللَّهُ: وَفِيهِ أَنَّهُ لَا كَلَامَ فِي قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِي أَنَّهُ هَلْ تُعَلَّقُ الْقُدْرَةُ بِهِ أَمْ لَا؟ وَإِذَا صَحَّ فِي الْخَبَرِ: أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ يُحْشَرُونَ غُرْلًا، فَلَا شَكَ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَحَقُّقِ إِعَادَةِ جَمِيعِ الْأَجْزَاءِ الْأَصْلِيَّةِ مِنَ الْمُتَّصِلَةِ وَالْمُنْفَصِلَةِ، كَالْأَظْفَارِ الْمَقْلُوعَةِ، وَالشُّعُورِ الْمَحْلُوقَةِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ تَصْمِيمًا لِكَلَامِ الشَّارِعِ، وَتَحْقِيقًا لِمَا أَخْبَرَهُ بِهِ، وَحُصُولُ هَذَا كُلِّهِ فِي ذَرَّةٍ مِنَ الْمُحَالَاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَنَفْيُهُ يُعْتَبَرُ فِي الْقَوَاعِدِ النَّقْلِيَّةِ مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ**﴾ [الأعراف:٤٠]، فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَنَّ دُخُولَ الْكُفَّارِ الْجَنَّةَ مِنَ الْمُحَالِ الَّذِي لَا يَقَعُ أَبَدًا كَوُجُودِ الْجَمَلِ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ. إِذَا عَرَفْتَ

هَذَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّيْخَ التُّورِبِشْتِيَّ عَدَلَ عَنِ الْحَقِيقَةِ إِلَىٰ الْمَجَازِ لِلضَّرُورَةِ الْمُلْجِئَةِ لَهُ إِلَيْهِ، لَكِنْ يَأْبَاهُ مَا فِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَلَىٰ مَا حَقَّقَهُ بَقِيَّةُ الشُّرَّاحِ، فَالتَّحْقِيقُ أَنَّ اللهَ يُعِيدُهُمْ عِنْدَ إِخْرَاجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ عَلَىٰ أَكْمَلِ صُوَرِهِمْ، وَجَمْعُ أَجْزَائِهِمُ الْمَعْدُومَةِ تَحْقِيقًا لِوَصْفِ الْإِعَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِ الْكَمَالِ، ثُمَّ فِي يَجْعَلُهُمْ فِي مَوْقِفِ الْجَزَاءِ عَلَىٰ الصُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ إِهَانَةً وَتَذْلِيلًا لَهُمْ جَزَاءً وِفَاقًا، أَوْ يَتَصَاغَرُونَ مِنَ الْهَيْبَةِ الْإِلَهِيَّةِ عِنْدَ مَجِيئِهِمْ إِلَىٰ مَوْضِعِ الْحِسَابِ، وَظُهُورِ أَثَرِ الْعُقُوبَةِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي لَوْ وُضِعَتْ عَلَىٰ الْجِبَالِ لَصَارَتْ هَبَاءً مَنْثُورًا، وَقَدْ ثَبَتَ تَبْدِيلُ صُوَرِ أَهْلِ جَهَنَّمَ عَلَىٰ أَشْكَالٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَصُوَرٍ مُتَبَايِنَةٍ كَصُوَرِ الْكِلَابِ وَالْخَنَازِيرِ وَالْحَمِيرِ، بِحَسَبِ مَا يَلِيقُ بِصِفَاتِهِمْ وَحَالَاتِهِمْ، وَقَدْ تَكْبُرُ جُثَّتُهُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ ضِرْسُ الْكَافِرِ كَجَبَلِ أُحُدٍ عَلَىٰ مَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ، وَكَذَا تَغْيِيرُ صُوَرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنَ السَّوَادِ إِلَىٰ الْبَيَاضِ، وَمِنَ الْقِصَرِ إِلَىٰ الطُّولِ الْمُعْتَدِلِ، وَمِنَ الْكِبَرِ إِلَىٰ السِّنِّ الْمُتَوَسِّطِ، وَجَعْلِهِمْ جُرْدًا مُكَحَّلَيْنِ، وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. وَبِهِ يَزُولُ الْإِشْكَالُ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ الْحَالِ.[١]

وقال عبد الحق الدهلوي رَحِمَهُ اللهُ: اختلفوا في معنىٰ هذا الحديث، فمنهم من أوله وقال: المراد بحشرهم أمثال الذر كونهم أذلاء، ويطؤهم الناس بأرجلهم، بدليل أن الأجساد تعاد علىٰ ما كانت عليه من الأجزاء، حتىٰ ورد في الحديث: «إنهم يحشرون غرلًا»، يعاد منهم ما انفصل عنهم من القلفة، ولهذا قال: «في

---

(١) "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"٨/ ٤١٩٢.

صورة الرجال»، ووصفهم بقوله: «يغشاهم الذل من كل مكان»، وهو قرينة المجاز، ومنهم من حمله علىٰ ظاهره، وحديث: «الأجساد تعاد علىٰ ما كانت عليه من الأجزاء» لا ينافيه؛ لأنه قادر علىٰ إعادة تلك الأجزاء الأصلية في مثل الذر، ومعنىٰ قوله: «في صورة الرجال» أن صورهم صور الإنسان وجثتهم كجثة الذر في الصغر.

وأما قوله: «يغشاهم الذل من كل مكان» فلا دلالة فيه علىٰ إرادة المجاز كما لا يخفىٰ.[1]

- **وقال ابن الملك** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يُحشَر المتكبرون أمثالَ الذَّرِّ" بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء: جمع ذَرَّة، "يومَ القيامة في صورة الرجال"، يريد: أن صُوَرَهم صورةُ الإنسان، وجُثَثَهم النملُ الصِّغارُ، "يغشاهم"؛ أي: يأتيهم، "الذلُّ من كل مكان"؛ أي: من كل جانب؛ يعني: يكونون علىٰ غاية الذل والحقارة، يَطؤُهم أهلُ المَحشر بأرجلهم، "يُساقون إلىٰ سجنٍ في جهنم يُسمىٰ: بَولَس" بفتح الباء الموحدة وسكون الواو وفتح اللام وكسرها: فَوعَل من: الإبلاس، بمعنىٰ: اليأس، ولعل هذا السجنَ يُسمىٰ به ليأسِ داخلِهِ من الخلاص، "تعلوهم نارُ الأنيار" جمع: نار، ومعنىٰ (نار الأنيار): هو أنه كأن هذه النارَ لفرط إحراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران فعلَ النار بغيرها، "يُسقَون من عُصَارةِ أهلِ النارِ طينةَ الخَبال" بفتح الخاء المعجمة: اسم عُصَارة أهل النار، وهو ما يَسيل منهم

---

(١) "لمعات التنقيح في شرح مشكاة المصابيح"٨/ ٣٥١.

من الصَّديد والقَيح والدم.[١]

وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ: قَوْلُهُ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ» أَيْ فِي الصِّغَرِ وَالْحَقَارَةِ «فِي صُوَرِ الرِّجَالِ» أَيْ مِنْ جِهَةِ وُجُوهِهِمْ أَوْ مِنْ حَيْثِيَّةِ هَيْئَتِهِمْ مِنَ انْتِصَابِ الْقَامَةِ «يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ» أَيْ: يَأْتِيهِمْ «مِنْ كُلِّ مَكَانٍ» أَيْ: مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَالْمَعْنَىٰ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي غَايَةٍ من المذلة والنقيصة يطأهم أَهْلُ الْحَشْرِ بِأَرْجُلِهِمْ مِنْ هَوَانِهِمْ عَلَىٰ اللهِ وَفِي "النِّهَايَةِ" الذَّرُّ النَّمْلُ الْأَحْمَرُ الصَّغِيرُ وَاحِدُهَا ذَرَّةٌ «يُسَاقُونَ» بِضَمِّ الْقَافِ أَيْ يُسْحَبُونَ وَيُجَرُّونَ «إِلَىٰ سِجْنٍ» أَيْ مَكَانِ حَبْسٍ مُظْلِمٍ مَضِيقٍ مُنْقَطِعٍ فِيهِ عَنْ غَيْرِهِ «يُسَمَّىٰ» أَيْ: ذَلِكَ السِّجْنُ «بَوْلَسَ» قَالَ فِي الْمَجْمَعِ هُوَ بِفَتْحِ بَاءٍ وَسُكُونِ وَاوٍ وَفَتْحِ لَامٍ وَقَالَ فِي الْقَامُوسِ بُولَسُ بِضَمِّ الْبَاءِ وَفَتْحِ اللَّامِ سِجْنُ جَهَنَّمَ وَقَالَ الْحَافِظُ الْمُنْذِرِيُّ هُوَ بِضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الْوَاوِ وَفَتْحِ اللَّامِ انْتَهَىٰ «تَعْلُوهُمْ» أَيْ تُحِيطُ بِهِمْ وَتَغْشَاهُمْ كَالْمَاءِ يَعْلُو الْغَرِيقَ «نَارُ الْأَنْيَارِ» قَالَ فِي النِّهَايَةِ لَمْ أَجِدْهُ مَشْرُوحًا وَلَكِنْ هَكَذَا يُرْوَىٰ فَإِنْ صَحَّتِ الرِّوَايَةُ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهُ نَارُ النِّيرَانِ فَجَمَعَ النَّارَ عَلَىٰ أَنْيَارٍ وَأَصْلُهَا أَنْوَارٍ لِأَنَّهَا مِنَ الْوَاوِ كَمَا جَاءَ فِي رِيحٍ وَعِيدٍ أَرْيَاحٌ وَأَعْيَادٌ وَهُمَا مِنَ الْوَاوِ انْتَهَىٰ قِيلَ إِنَّمَا جُمِعَ نَارٌ عَلَىٰ أَنْيَارٍ وَهُوَ وَاوِيٌّ لِئَلَّا يَشْتَبِهَ بِجَمْعِ النُّورِ قَالَ الْقَاضِي وَإِضَافَةُ النَّارِ إِلَيْهَا لِلْمُبَالَغَةِ كَأَنَّ هَذِهِ النَّارَ لِفَرْطِ إِحْرَاقِهَا وَشِدَّةِ حَرِّهَا تَفْعَلُ بِسَائِرِ النِّيرَانِ مَا تَفْعَلُ النَّارُ بغيرها انتهىٰ قال القارىء أَوْ لِأَنَّهَا أَصْلُ نِيرَانِ الْعَالَمِ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ

(١) "شرح المصابيح"٥/ ٣٥٣.

الَّذِي يَصْلَىٰ النَّارَ الْكُبْرَىٰ وَلِقَوْلِهِ ﷺ نَارُكُمْ هَذِهِ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ عَلَىٰ مَا ذَكَرَهُ الْبَيْضَاوِيُّ انْتَهَىٰ «وَيُسْقَوْنَ» بِصِيغَةِ الْمَجْهُولِ «مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ» بِضَمِّ الْعَيْنِ الْمُهْمَلَةِ وَهُوَ مَا يَسِيلُ مِنْهُمْ مِنَ الصَّدِيدِ وَالْقُبْحِ وَالدَّمِ «طِينَةِ الْخَبَالِ» بِالْجَرِّ بَدَلٌ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ وَالْخَبَالُ بِفَتْحِ الْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الْفَسَادُ وَيَكُونُ فِي الْأَفْعَالِ وَالْأَبْدَانِ وَالْعُقُولِ.[(١)]

-عَنْ جُنْدُبٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَدَّثَ « أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ أَوْ كَمَا قَالَ »[(٢)]

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ »[(٣)].

ومن أجمل ما قرأت للهري في هذا الباب قال قال النبي ﷺ: «إن الله لا ينظر إلىٰ» جمال «صوركم و» إلىٰ كثرة «أموالكم، ولكن إنما ينظر إلىٰ» إخلاص «أعمالكم و» إلىٰ نية «قلوبكم».

والحاصل: أن من حسن عمله، وصلحت نيته، سواء كان نحيف الجسم، دميم الصورة، فارغ اليد .. رضي الله عنه ونظر إليه، ومن ساء عمله، وفسدت نيته ..

(١) كتاب" تحفة الأحوذي"٧/ ١٦٢-١٦٣.

(٢) رواه مسلم ٢٦٢١.

(٣) رواه مسلم ٢٥٦٤.

سخط الله عليه، وأعرض عنه، وإن كان كبير الجسم، جميل الصورة، كثير المال. وقال محمد الدهني في "هامش مسلم": يعني: أن الله تعالىٰ لا ينظر إلىٰ صوركم المجردة عن السيرة المرضية، ولا إلىٰ أموالكم العارية عن الخيرات، ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم التي هي محل التقوىٰ، وأعمالكم التي يتقرب بها إلىٰ الله العلي الأعلىٰ. انتهىٰ منه.

قوله: «إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم» وفي رواية مسلم: «إن الله لا ينظر إلىٰ أجسامكم»، قال القاضي عياض: نظر الله الذي بمعنىٰ: الرؤية يتعلق بكل موجود، وهذا النظر بمعنىٰ: المجازاة والإثابة، ويتعلق هذا بمن شاء الله به ذلك. ظنية، لا دلالة عقلية، ترتَّب علىٰ ذلك عدمُ الغلوِّ في تعظيم من حسنت أعماله الظاهرة؛ إذ لعل الله تعالىٰ يعلم من قلبه وصفًا مذمومًا لا تصح معه تلك الأفعال، وترتَّبَ أيضًا عليه عدم احتقار مسلمٍ ساءت أفعاله الظاهرة؛ إذ لعل الله تعالىٰ يعلم من قلبه وصفًا محمودًا يغفر له بسببه، وهذا في الحكم علىٰ عاقبة الرجل الذي ساءت أفعاله الظاهرة، فلا يحكم عليه بكونه من النار مثلًا، فإنه يمكن أن يغفر له الله تعالىٰ؛ لتوبته فيما بعد، أو لسبب من الأسباب، ولا يجوز لبشر أن يتحكم علىٰ الله تعالىٰ، أما بالنسبة لأفعاله .. فلا شك في أنها يحكم عليها بكونها ذنبًا أو معصيةً، ويجب أن ينكر عليها، وإلا .. لتعطلت الأحكامُ كلُّها، والذي يظهر عندي من معنىٰ الحديث: أن الله تعالىٰ لا ينظر إلىٰ قوة أجسادكم وإلىٰ صوركم الحسنة، وإنما ينظر إلىٰ أعمالكم الظاهرة والباطنة

جميعًا، فأشار بقوله: "قلوبكم" إلىٰ الأعمال الباطنة؛ كما أشار بقوله: "أعمالكم" إلىٰ الأعمال الظاهرة، والحاصل: أن من حسن عمله .. رضي عنه الله تعالىٰ، سواء كان نحيف الجسم دميم الصورة، ومن ساء عمله .. سخط الله منه سبحانه وتعالىٰ، سواء كان قوي الجسم حسن الصورة، فلا مجال في هذا الحديث لمن ادعىٰ: «أن المطلوب من الإنسان تزكية القلب فقط، ولا عبرة بأفعاله الظاهرة، فيفعل في ظاهره ما يشاء» كما تفوه بذلك بعضُ الملاحِدة، وجهلة المتصوفة، ونصوص القرآن والسنة مطبقةٌ علىٰ كون الإنسان مكلفًا علىٰ تصحيح أعماله الظاهرة، والواقع أن الأعمال الظاهرة لا تفسد إلا بفساد القلب، فهي علامة علىٰ فساد باطنه.[1]

وقال العلامة محمد آدم الآثيوبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فيه إثبات النظر لله سبحانه وتعالىٰ علىٰ ما يليق بجلاله، فلا نؤوّل كما مشىٰ عليه شراح هذا الحديث، فتنبّه. «إِلَىٰ صُوَرِكُمْ»؛ أي: لا يجازيكم علىٰ ظاهرها، «وَأَمْوَالِكُمْ» الخالية من الخيرات؛ أي: لا يثيبكم عليها، ولا يقرّبكم منه، «وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ» التي هي محل التقوىٰ، وموضع الإنابة، ومنبع الحكمة، والمعرفة، «وَأَعْمَالِكُمْ» التي تتقرّبون بها إليه سبحانه وتعالىٰ، فينبغي الحرص علىٰ إخلاصها، وموافقتها للكتاب والسُّنَّة، فإن العمل لا يُقبل إلا إذا كان خالصًا لوجه الله عز وجل، وموافقًا لِمَا جاء به النبيّ -ﷺ-، من الكتاب والسُّنَّة، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ

---

(١) "مرشد ذوي الحجا والحاجة إلىٰ سنن ابن ماجة"٢٥/ ٢١٢-٢١٣.

﴿عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ۝١١٠﴾ [الكهف:١١٠]. قال بعضهم: معنىٰ هذا الحديث: أن الله تعالىٰ لا ينظر إلىٰ قوّة أجسادكم، وصوركم الحسنة، وإنما ينظر إلىٰ أعمالكم الظاهرة والباطنة جميعًا، فأشار بقوله: «إلىٰ قلوبكم» إلىٰ الأعمال الباطنة، كما أشار بقوله: «وأعمالكم» إلىٰ الأعمال الظاهرة. والحاصل أن من حَسُن عمله رضي الله تعالىٰ عنه، سواء كان نحيف الجسم، دميم الصورة، ومن ساء عمله سَخِط الله تعالىٰ منه، سواء كان قويّ الجسم، حَسَن الصورة. فلا مجال في هذا الحديث لمن ادّعىٰ أن المطلوب من الإنسان تزكيته للقلب فقط، ولا عبرة بأفعاله الظاهرة، فيفعل في ظاهره ما يشاء، كما تفوّه بذلك بعض الملاحدة، وجهلة المتصوّفة؛ لأن نصوص الكتاب والسُّنَّة مُطبِقة علىٰ كون الإنسان مكلّفًا بتصحيح أعماله الظاهرة، والواقع أن الأعمال الظاهرة لا تفسد إلا بفساد القلب، فهي علامة علىٰ فساد باطنه، وقد بيّن النبيّ -ﷺ- هذا المعنىٰ أتمّ بيان حيث قال: "ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، وإذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا وهي القلب"، ففساد الأعمال الظاهرة دليل علىٰ فساد القلب؛ لأنهما متلازمان، لا ينفكّ أحدهما عن الآخر. فلو لم يكن للأعمال الظاهرة قيمة واعتبار في الشرع لَمَا ذَكَر النبيّ ﷺ: «وأعمالكم» عَقِب قوله: «إلىٰ قلوبكم»، ولكنه -ﷺ- قَرَن بينهما، فدلّ علىٰ المطلوب من المكلّف إصلاح الباطن والظاهر جميعًا. وكذلك لا يخفىٰ بطلان قول من يستدلّ بهذا الحديث علىٰ أن الأجساد والصور لا يتعلّق بها حكم

شرعيّ، فيجوز للمرء أن يختار لتزيين جسده، وتحسين صورته ما شاء من طريق؛ كحلق اللحية، وإسبال الشارب، ونحو ذلك، مع أنه -ﷺ- أمَر بإعفاء اللحية، وإحفاء الشارب، وتقليم الأظفار، ونهىٰ عن إسبال الثوب، ولَعَن الواشمات، والمستوشمات، والنامصات، والمتنمّصات، والمتفلجات، فكل هذا ونحوه من الأعمال التي هي محلّ نَظَر الله تعالىٰ؛ كنَظَره للقلب بلا فرق. وإنما المراد من نفي النظر إلىٰ الأجساد والصُّوَر، أن حُسْن الصورة وقُبْحها، لا مدخل له في رضا الله تعالىٰ، وسَخَطه، وإنما العبرة بالقلب، والأعمال.(١)

- عَنْ سَهْلٍ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أن يشفع، وإن قال أن يسمع. قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا» قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لا يسمع. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»(٢).

وقال بعضهم: معنىٰ هذا الحديث: أن الله تعالىٰ لا ينظر إلىٰ قوة أجسادكم وصوركم الحسنة، وإنما ينظر إلىٰ أعمالكم الظاهرة والباطنة جميعًا فأشار بقوله: إلىٰ قلوبكم" إلىٰ الأعمال الباطنة، كما أشار بقوله: إلىٰ الأعمال الباطنة،

---

(١) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم ابن الحجاج"٤٠/ ٣٨٧.

(٢) رواه البخاري٤٨٠٣.

كما أشار بقوله: «وأعمالكم» إلىٰ الأعمال الظاهرة.[(١)]

وقال الزحيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالتميز إنما يكون بإخلاص الضمير، ونقاء القلب، وإخلاص الأعمال لله عز وجل، لا بالمظاهر والثروات، ولا بالألوان والصور ولا بالأعراق والأجناس.[(٢)]

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: احتقار المسلم ازدراؤه والسخرية به والاستهزاء به والحط من قدره وما أشبه ذلك، وهذا محرم لما فيه من العدوان علىٰ أخيك المسلم الذي يجب أن تحترمه وأن تكن له كل تقدير؛ لأنه أخوك المؤمن .[(٣)]

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ: وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ -، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ »[(٤)]

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ.[(٥)]

---

(١) "تكملة فتح الملهم"٥/ ٣٦٤-٣٦٥.

(٢) "التفسير المنير" للزحيلي٢٦/ ٢٥٢.

(٣) "شرح رياض الصالحين"٦/ ٢٥٧.

(٤) رواه مسلم ١٠٧.

(٥) رواه أحمد٨٩٥٢ والبخاري في "الأدب المفرد"٢٧٣ وصححه الألباني في "صحيح الجامع"٢٣٤٩.

- وعَنْ أَبِي نَضْرَةَ، حَدَّثَنِي مَنْ سَمِعَ خُطْبَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَىٰ عَجَمِيٍّ ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَىٰ عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَىٰ أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَىٰ أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ، أَبَلَّغْتُ» قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ. ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟» قَالُوا: يَوْمٌ حَرَامٌ. ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قَالُوا: شَهْرٌ حَرَامٌ. قَالَ: ثُمَّ قَالَ: «أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟» قَالُوا بَلَدٌ حَرَامٌ. قَالَ: «فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ بَيْنَكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ - قَالَ: وَلَا أَدْرِي قَالَ: أَوْ أَعْرَاضَكُمْ، أَمْ لَا - كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَبَلَّغْتُ» قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ. قَالَ: «لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»(١).

أقول: إن ديننا الحنيف جاء ليخرج الناس من عبادة رب العباد وأن الناس فيه سواسية كأسنان المشط فلا يُفضل بعضهم علىٰ بعض إلا بالتقوىٰ قال ابن باز: والحكم في دين الله أنه لا فضل لأحدٍ منهم علىٰ أحدٍ إلا بالتقوىٰ سواء سمي قبيلًا أو خضريًا أو مولىٰ أو أعجميًا كلهم علىٰ حد سواء لا فضل لهذا علىٰ هذا ولا هذا علىٰ هذا إلا بالتقوىٰ، كما قال ﷺ : لا فضل لعربي علىٰ عجمي ولا عجمي علىٰ عربي إلا بالتقوىٰ . وكما قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ

(١) "مسند أحمد" ٢٣٤٨٩

﴿أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣][1].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وقد جاء الشرع بالتسوية بين المسلمين في معظم الأحكام، وأن التفاضل الحقيقي بينهم إنما هو بالتقوىٰ فلا يفيد الشريف النسب نسبه إذا لم يكن من أهل التقوىٰ وينتفع الوضيع النسب بالتقوىٰ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].[2]

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، مَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ»[3]

- عَنْ الْمَعْرُورِ قَالَ: لَقِيتُ أبا ذر بالربدة، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ، وَعَلَىٰ غُلَامِهِ حُلَّةٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنِّي سَابَبْتُ رَجُلًا فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: يَا أبا ذر، أعيرته بأمه، إنك امرو فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم.[4]

- عن حَارِثَةَ بْنَ وهب الخزاعي قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يقول: ألا أخبركم بأهل الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ

---

(١) " مجموع فتاوىٰ ومقالات متنوعة" ابن باز ٥/ ١٤٦.

(٢) "الفتح"١٠/ ٤٦٨.

(٣) "سنن ابن ماجة"٤١٧٤. وقال الألباني: صحيح.

(٤) "رواه البخاري٣٠.

بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عتل، جواظ، مستكبر.[١]

قال الشيخ محمد الأمين الهرري رَحِمَهُ اللهُ: وفي رواية مسلم زيادة: (ثم قال) أي: ثم بعدما ذكر قال رسول الله ﷺ: (ألا) أي: انتبهوا واستمعوا ما أقول؛ وذلك أني (أنبئكم) وأخبركم (بـ) علامات (أهل النار) وأصحابها في الدنيا؟ وفي رواية زيادة: (قالوا) أي: قال الحاضرون عنده ﷺ: (أخبرنا) عن علامتهم يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: هم أي: أهل النار (كل عتل) - بضمتين وتشديد اللام - أي: كل فظ اللسان، شديد غليظ القلب، شديد الخصومة، (جواظ) - بفتح الجيم وتشديد الواو - أي: جموع للمال، منوع عن صرفه في الخيرات، وقيل: معناه: كثير اللحم في جسمه؛ لسمنه، المختال؛ أي: كثير الكبر والخيلاء في قلبه، وقيل: القصير البطن، (مستكبر) أي: متصف بالكبر؛ وهو بطر الحق وغمط الناس، قوله: (عتل) - بضم العين والتاء مع تشديد اللام - وهو الفظ الشديد من كل شيء، وقال الفراء: الشديد الخصوم، وقيل: الجافي عن قبول الموعظة، وقال عبد الرزاق: العتل: الفاحش الآثم، وقال الخطابي: العتل: الغليظ العنيف، وقال الداوودي: السمين العظيم العنق والبطن، وقال الهروي: العتل: الجموع المنوع، وقيل: القصير البطن، وجاء فيه حديث عند أحمد من طريق عبد الرحمن بن غنم - وهو مختلف في صحته - قال: «سئل رسول الله ﷺ: عن العتل الزنيم، قال: هو الشديد الخلق المصحح، الأكول الشروب، الواجد

(١) "رواه البخاري ٤٦٣٤.

للطعام والشراب، الظلوم للناس، الرحيب الجوف» كذا في "فتح الباري" (٨/ ٦٦٣).

قوله: هو الكثير اللحم المختال في مشيه، حكاه الخطابي، وقال ابن فارس: قيل: هو الأكول، وقيل: الفاجر.(١)

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني هذه من علامات أهل الجنة؛ أن الإنسان يكون ضعيفًا متضعفًا، أي: لا يهتم بمنصبه أو جاهه، أو يسعىٰ إلىٰ علو المنازل في الدنيا، ولكنه ضعيف في نفسه متضعف، يميل إلىٰ الخمول وإلىٰ عدم الظهور؛ لأنه يرىٰ أن المهم أن يكون له جاه عند الله عز وج، لا أن يكون شريفًا في قومه أو ذا عظمة فيهم، ولكن يرىٰ أن الأهم كله أن يكون عند الله سبحانه وتعالىٰ ذا منزلة كبيرة عالية، ولذلك تجد أهل الآخرة لا يهتمون بما يفوتهم من الدنيا؛ أن جاءهم من الدنيا شيء قبلوه وإن فاتهم شيء كان، وما لم يشأ لم يكن، وإن الأمور بيد الله، وإن تغيير الحال من المحال، وأنه لا يمكن رفع ما وقع ولا دفع ما قدر إلا بالأسباب الشرعية التي جعلها الله تعالىٰ سببًا.(٢)

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: والمراد بالمستضعف بفتح العين علىٰ المشهور، أي: والمراد بالمستضعف بفتح العين علىٰ المشهور، أي: يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه لضعفه ولفقره ورثاثته وخموله، وفي رواية بكسر

---

(١) "شرح سنن ابن ماجة" للهرري ٢٥/ ١٢٧.

(٢) "شرح رياض الصالحين" لابن عثيمين ٣/ ٤٨.

العين، أي: نفسه كمال لتواضعه وضعف حاله في الدنيا، ذو طمرين بكسر فسكون إزراء ورداء خلقين، لا يؤبه له، أي: لا يحتمل به.(١)

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل عتل جواظ مستكبر»؛ هذه علامات أهل النار، «عتل»: يعني أنه غليظ جاف، قلبه حجر والعياذ بالله؛ كالحجارة أو أشد قسوة. «جواظ مستكبر» الجواظ فيه تفاسير متعددة، قيل إنه الجموع المنوع، يعني الذي يجمع المال ويمنع ما يجب فيه، والظاهر أن الجواظ هو الرجل الذي لا يصبر، فجواظ يعني جزوع لا يصبر علىٰ شيء، ويرىٰ أنه في قمة أعلىٰ من أن يمسه شيء، ومن ذلك قصة الرجل الذي كان مع الرسول ﷺ في غزوة، وكان شجاعـًا لا يدع شاذة ولا فاذة للعدو إلا قضىٰ عليها، فقال النبي ﷺ: «إن هذا من أهل النار»، فعظم ذلك علىٰ الصحابة، وقالوا: كيف يكون هذا من أهل النار وهو بهذه المثابة؟ ثم قال رجل: والله لألزمنه يعني لأ لازمه حتىٰ أنظر ماذا يكون حاله، فلزمه فأصاب هذا الرجل الشجاع سهم من العدو. فعجز عن الصبر وجزع ثم أخذ بذبابة سيفه فوضعه في صدره ثم اتكأ عليه حتىٰ خرج السيف من ظهره والعياذ بالله، فقتل نفسه. فجاء الرجل للرسول ﷺ فقال: يا رسول الله أشهد أنك لرسول الله، قال:ويم؟. قال: لأن الرجل الذي قلت إنه من أهل النار، فعل كذا وكذا، فقال النبي ﷺ: إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار . فانظر إلىٰ هذا الرجل جزع وعجز أن

---

(١) "فيض القدير شرح الجامع الصغير"٣/ ١٠٠.

يتحمل فقتل نفسه، فالجواظ هو الجزوع الذي لا يصبر، دائمًا في أنين وحزن وهمّ وغمّ، معترضـًا علىٰ القضاء والقدر، لا يخضع له، ولا يرضىٰ بالله ربـًا، وأما المستكبر فهو الذي جمع بين وصفين: غمط الناس، وبطر الحق؛ لأن النبي ﷺ قال «الكبر بطر الحق، وغمط الناس» وبطر الحق: يعني رده، وغمط الناس: يعني احتقارهم، فهو في نفسه عال علىٰ الحق، وعال علىٰ الخلق، لا يلين للحق ولا يرحم الخلق والعياذ بالله، فهذه علامات أهل النار. نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من النار، وأن يدخلنا وإياكم الجنة. إنه جواد كريم.(١)

وقال النووي: «لو أقسم علىٰ الله»: أي: أي في فعل شيء، أو تركه، (لأبره) أي: لأمضاه علىٰ الصدق، وجعله بارًا غير حانث في طلبه من الحق، وقال الطيبي؛: أي لو حلف يمينًا علىٰ شيء أن يقع طمعًا في كرم الله- عزو جل- بإبراره لأبره وأوقعه لأجله، وقيل: هو كناية عن إجابة دعائه.(٢)

وقال النووي أيضًا: وقوله: «لو أقسم علىٰ الله لأبره» أي: لو حلف علىٰ وقوع شيء، أوقعه الله تعالىٰ إكرامًا له بإجابة سؤاله، وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظيم منزلته عند الله تعالىٰ، وإن كان حقيرًا عند الناس، وقيل: معنىٰ القسم هنا: الدعاء وإبراره إجابته.(٣)

(١) "شرح رياض الصالحين" لابن عثيمين ٣/ ٥١.

(٢) "شرح النووي"١٧/ ١٨٧ و"مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"١٤/ ٤٠٩-٤١٠.

(٣) "شرح النووي"١٦/ ١٧٤-١٧٥.

عن ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ قال: من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته.(١)

- **قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ:** يقال: تضعفته واستضعفته بمعنىٰ، كما يقال: تيقن واستيقن يريد الذي يتضعفه الناس ويتجبرون عليه في الدنيا للفقر ورثاثة الحال.(٢)

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: كل ضعيف متضعف إنه الخاضع لله تعالىٰ المذل نفسه له سبحانه وتعالىٰ ضد المتجبر المستكبر.(٣)

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي رواية الإسماعيلي: مستضعف، والمراد بالضعيف من نفسه كمال لتواضعه وضعف حاله في الدنيا والمستضعف المحتقر لخموله في الدنيا.(٤)

كيف نجمع بين هذا الحديث وبين الحديث الذي أخرجه مسلم في كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله رقم ٢٦٦٤: «المؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير»؟.

وقال النووي أيضًا: وقوله: «لو أقسم علىٰ الله لأبره» أي: لو حلف علىٰ

---

(١) "سير أعلام النبلاء"١٧/ ٢٥١.

(٢) "النهاية في غريب الأثر"٣/ ٨٨.

(٣) "شرح النووي علىٰ صحيح مسلم"١٧/ ١٨١.

(٤) "فتح الباري"٨/ ٦٦٣.

وقوع شيء، أوقعه الله تعالىٰ إكرامًا له بإجابة سؤاله، وصيانته من الحنث في يمينه وهذا لعظيم منزلته عند الله تعالىٰ، وأن كان حقيرًا عند الناس، وقيل: معنىٰ القسم هنا الدعاء وإبراره إجابته.»(١)

قد جمع الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ بين الحديثين فقال: والمراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا علىٰ العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه، وذهابًا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر علىٰ الأذىٰ في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالىٰ، وأرغب في الصلاة والسوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها، ومحافظة عليها ونحو ذلك وأما مدح الضعيف، فمن حيث رقة القلوب ولينها واستكانتها لربها وضراعتها إليه.(٢)

وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: كما يحمل مدح الضعف في حال التعامل مع المسلمين كما قال سبحانه: قوله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩].(٣)

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا

(١) "شرح النووي"١٦/ ١٧٤-١٧٥.

(٢) "شرح النووي علىٰ صحيح مسلم٩/ ١٩.

(٣) "فيض القدير"٣/ ١٠٠.

ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ، قَالَ اللهُ تبارك وتعالىٰ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ: فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ قَطْ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَيُزْوَىٰ.(١)

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: " يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ.(٢)

- عن مصعب بن سعد قال: رأىٰ سعد رضي الله عنه أن له فضلا علىٰ من دونه، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم».(٣)

-عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ الْمُسْلِمِينَ بِدُعَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ»(٤)

---

(١) رواه البخاري ٤٨٥٠ ومسلم ٢٨٤٧.

(٢) " رواه أحمد ٧٥٩١.

(٣) "رواه البخاري"٢٧٣٩.

(٤) " المعجم الأوسط"٤/ ٢٦٣"مجمع الزوائد" ٥/ ٣٢٩: وفيه علي بن سعيد الرازي قال الدارقطني: ليس بذاك وقال يونس: كان يحفظ ويفهم وبقية رجاله ثقات. قال الحافظ في "الفتح"٦/ ٨٩: أخرجه أبو نعيم في ترجمته في الحلية من رواية عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن عمرو بن مرة وقال: غريب من حديث عمرو تفرد به عبد السلام.

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: من لقب أخاه أو سخر منه فهو فاسق.(١)

- عَنْ أَبِي مَيْسَرَةَ، قَالَ: لَوْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَرْضَعُ عَنْزًا فَسَخِرْتُ مِنْهُ خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَهُ.(٢)

- وَعَنْ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ الرَّازِيِّ قَالَ: لِيَكُنْ حَظُّ الْمُؤْمِنِ مِنْكَ ثَلَاثُ خِصَالٍ لِتَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ: أَحَدُهَا أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَنْفَعْهُ فَلَا تَضُرَّهُ. وَالثَّانِي إِنْ لَمْ تَسُرَّهُ فَلَا تَغُمَّهُ. وَالثَّالِثُ إِنْ لَمْ تَمْدَحْهُ فَلَا تَذُمَّهُ.(٣)

- عن أبي عمرو بن حمدان يقول: وجدت في كتاب أبي سمعت أبا عثمان يقول: الخوف من الله يوصلك إلى الله والكبر والعجب في نفسك يقطعك عن الله واحتقار الناس في نفسك مرض عظيم لا يداوى.(٤)

- عن يونس بن عبد الأعلى قال: سمعت الشافعي يقول: أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره، وأكثر الناس فضلا من لا يرى فضله.(٥)

- **قال الماوردي رَحِمَهُ اللهُ:** وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَنْ بَرِئَ مِنْ ثَلَاثٍ نَالَ ثَلَاثًا: مَنْ بَرِئَ مِنْ السَّرَفِ نَالَ الْعِزَّ. وَمَنْ بَرِئَ مِنْ الْبُخْلِ نَالَ الشَّرَفَ. وَمَنْ بَرِئَ

---

(١) "تفسير القرطبي"١٦/ ٣٢٨.

(٢) "ذم البغي" لابن أبي الدنيا ص٨٦.

(٣) "تنبيه الغافلين"ص١٦٥.

(٤) "شعب الإيمان"٦/ ٢٩٦.

(٥) "مناقب الشافعي" للبيهقي٢/ ٢٠١.

مِنْ الْكِبْرِ نَالَ الْكَرَامَةَ.[(١)]

- **قال ابن عبد البر** رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقِيلَ لبزرجمهر: «مَا النِّعْمَةُ الَّتِي لَا يُحْسَدُ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا؟ قَالَ: التَّوَاضُعُ وَقِيلَ لَهُ: مَا الْبَلَاءُ الَّذِي لَا يُرْحَمُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ؟ قَالَ: الْعُجْبُ».[(٢)]

- عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا»[(٣)]

- عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، ذَكَرَ النَّبِيَّ ﷺ قَعَدَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ، وَأَمْسَكَ إِنْسَانٌ بِخِطَامِهِ - أَوْ بِزِمَامِهِ - قَالَ: «أَيُّ يَوْمٍ هَذَا»، فَسَكَتْنَا حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ سِوَىٰ اسْمِهِ، قَالَ: «أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ» قُلْنَا: بَلَىٰ، قَالَ: «فَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا» فَسَكَتْنَا حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ بِذِي الحِجَّةِ» قُلْنَا: بَلَىٰ، قَالَ: «فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَىٰ أَنْ يُبَلِّغَ

---

(١) "أدب الدنيا والدين" ص٢٤٢.

(٢) "جامع بيان العلم وفضله" ١/ ٥٦٦.

(٣) _"سنن أبي داود" ٤٨٧٥ وقال الألباني: صحيح.

مَنْ هُوَ أَوْعَىٰ لَهُ مِنْهُ». (١)

- عَنْ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَىٰ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَىٰ، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَىٰ، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَىٰ، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يُقَالُ: ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً». (٢)

- عَنْ يَعْلَىٰ بْنِ أُمَيَّةَ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ، وَعَلَيْهِ رَدْعٌ مِنْ زَعْفَرَانٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَحْرَمْتُ فِيمَا تَرَىٰ، وَالنَّاسُ يَسْخَرُونَ مِنِّي. وَأَطْرَقَ هُنَيْهَةً، قَالَ: ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ: " اخْلَعْ عَنْكَ هَذِهِ الْجُبَّةَ، وَاغْسِلْ عَنْكَ هَذَا الزَّعْفَرَانَ، وَاصْنَعْ فِي عُمْرَتِكَ كَمَا تَصْنَعُ فِي حَجِّكَ ". (٣)

- عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوما: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة ولا أجبن عند اللقاء،

---

(١) رواه البخاري ٦٧ ومسلم ١٦٧٩.

(٢) رواه البخاري ٦٥٧١ ومسلم٣٠٨.

(٣) رواه أحمد ١٧٩٦٤ وقال محققو المسند: حديث صحيح.

فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، فبلغ ذلك النبي صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم ونزل القرآن قال عبد الله: فأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم يقول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة:٦٥].(١)

قال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فنص –أي الله سبحانه وتعالىٰ- أن الاستهزاء بالله أو بآياته أو برسول من رسله كفر مخرج من الإيمان، ولم يقل- عزو جل- أني علمت أن في قلوبكم كفرًا بل جعلهم كفارًا بنفس الاستهزاء.(٢)

قال القاضي أبوبكر بن العربي (أحد أئمة المالكية): لا يخلو أن يكون ما قالوا من ذلك جدًا أو هزلًا وهو كيفما كان كفر، فإن الهزل بالكفر لا خلاف فيه بين الأمة.(٣)

قال البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاستهزاء بالله كفر والإقدام عليه يوجب الكفر.(٤)

وقال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي قد أظهرتم الكفر بما وقع منكم من

---

(١) "تفسير ابن أبي حاتم" ٦٣/٤ وصححه الشيخ مقبل الوادعي في "الصحيح المسند من أسباب النزول"ص١٠٨.

(٢) "الفصل"٣/ ٢٤٥.

(٣) "تفسير القرطبي"٤/ ٥٢٤.

(٤) "تفسيره"! ١/ ٣٢٠.

الاستهزاء المذكور بعد إظهاركم الإيمان.[(١)]

وقال القاسمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولئن سألتهم عن إتيانهم بتلك القبائح المتضمنة للاستهزاء ليقولن في الاعتذار: إنه لم يكن عن القلب حتىٰ يكون نفاقًا وكفرًا، بل ندخل هذا الكلام لترويح النفس ونمزح، فرد الله تعالىٰ عليهم: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦٥﴾ أي: في ترويحكم ومزاحكم ولم تجدوا لها كلامًا آخر، لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة، فالنهي عن الاشتغال به وإدامته؛ إذ أصله وقع قد أظهرتم الكفر بإيذاء الرسول والطعن فيه باستهزائكم بمقالكم بعد إظهاركم الإيمان قال في" الإكليل"- أي الإمام السيوطي- قال الكيا: فيه دلالة علىٰ أن اللاعب والجاد في إظهار كلمة الكفر سواء وأن الاستهزاء بآيات الله كفر.[(٢)]

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج من الدين؛ لأن أصل الدين مبني علىٰ تعظيم الله وتعظيم دينه ورسوله والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة.[(٣)]

وقال المراغي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنك إن سألتهم عن أقوالهم هذه يعتذرون عنها بأنهم لم يكونوا فيها جادين ولا منكرين، بل هازلين لا عبين للتسلي والتلهي، وكانوا

---

(١) "فتح القدير"٢/ ٣٧٧.

(٢) "تفسير القاسمي"٤/ ١٦٢.

(٣) "تيسير الكريم الرحمن"١/ ٤٤٢.

يظنون أن هذا عذر مقبول لجهلهم أن اتخاذ الدين هزوًا ولعبًا كفر محض، فقال الله لنبيه: قل لهم إن الخوض واللعب في صفات الله وشرعه وآياته المنزلة استهزاء به؛ إذ كل ما يلعب به فهو مستخف به وكل مستخف به فهو مستهزأ به، وقصارىٰ ذلك ألم تجدوا ما تستهزأون به في خوضكم ولعبكم إلا الله وآياته ورسوله فقصرتم ذلك عليهما، فهل ضاقت عليكم سبل القول فلم تجدوا ما تخوضون فيه وتلعبون غير هذا؟ ثم بعدئذٍ تظنون أن معاذيركم بمثل هذا تقبل وتدلون بها بلا خوف ولا خجل.[(١)]

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللهُ: فنص- أي الله سبحانه وتعالىٰ- أن من الكلام ما هو كفر.[(٢)]

وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللهُ: فعلوا ما يوجب كفرهم علىٰ تقدير صحة إسلامهم.[(٣)]

---

(١) "تفسير المراغي"٤/ ١٢٤-١٢٥.

(٢) "كتاب"الفصل"٣/ ٢٤٤.

(٣) "فتح القدير"٢/ ٣٨٠.

أقوال العلماء في الباب

- **وعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:** البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلبًا.(١)

- ذكر الغزالي أن السخرية من الآفات قال: الآفة الحادية عشر السخرية والاستهزاء

وهذا محرم مهما كان مؤذيـًا كما قَالَ تَعَالَىٰ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أن يكن خيراً منهن وَمَعْنَىٰ السُّخْرِيَةِ الِاسْتِهَانَةُ وَالتَّحْقِيرُ وَالتَّنْبِيهُ عَلَىٰ الْعُيُوبِ والنقائص عَلَىٰ وَجْهٍ يُضْحَكُ مِنْهُ وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالإشارة والإيماء وإذا كان بحضرة المستهزأ به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنىٰ الغيبة قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حاكيت إنسانـًا فقال لي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والله ما أحب أني حاكيت إنسانـًا ولي كذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالىٰ يا ويلتنا ما لهذا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أحصاها إن الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وهذا إشارة إلىٰ أن الضحك علىٰ الناس من جملة الذنوب والكبائر وعن عبد الله بن زمعة أنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضرطة فقال علام يضحك أحدكم مما يفعل وقال

---

(١) "نزهة الفضلاء"١/ ٨٥.

ﷺ إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه ثم يفتح له باب آخر فيقال هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فإذا أتاه أغلق دونه فما يزال كذلك حتىٰ إن الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فلا يأتيه وقال معاذ بن جبل قال النبي ﷺ من عير أخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتىٰ يعمله وكل هذا يرجع إلىٰ استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغاراً لَهُ وَعَلَيْهِ نَبَّهَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ عَسَىٰ أَنْ يكونوا خيراً منهم أَيْ لَا تَسْتَحْقِرْهُ اسْتِصْغَارًا فَلَعَلَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ، وهذا إنما يحرم فِي حَقِّ مَنْ يَتَأَذَّىٰ بِهِ فَأَمَّا مَنْ جَعَلَ نَفْسَهُ مَسْخَرَةً وَرُبَّمَا فَرِحَ مِنْ أَنْ يُسْخَرَ بِهِ كَانَتِ السُّخْرِيَةُ فِي حَقِّهِ مِنْ جُمْلَةِ المزاح وَقَدْ سَبَقَ مَا يُذَمُّ مِنْهُ وَمَا يُمْدَحُ وَإِنَّمَا الْمُحَرَّمُ اسْتِصْغَارٌ يَتَأَذَّىٰ بِهِ الْمُسْتَهْزَأُ بِهِ لما فِيهِ مِنَ التَّحْقِيرِ وَالتَّهَاوُنِ وَذَلِكَ تَارَةً بِأَنْ يَضْحَكَ عَلَىٰ كَلَامِهِ إِذَا تَخَبَّطَ فِيهِ وَلَمْ ينتظم أو علىٰ أفعاله إذا كنت مشوشة كالضحك علىٰ خطه وعلىٰ صنعته أو علىٰ صورته وخلقته إذا كان قصيراً أو ناقصًا لعيب من العيوب فَالضَّحِكُ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ دَاخِلٌ فِي السُّخْرِيَةِ المنهي عنها الآفة الثانية عشر إِفْشَاءُ السِّرِّ وَهُوَ مَنْهِيٌّ عَنْهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيذَاءِ وَالتَّهَاوُنِ بِحَقِّ الْمَعَارِفِ وَالْأَصْدِقَاءِ.(١)

حكم احتقار الدين

قال ابن قدامة: فمن سب الله تعالىٰ كفر سواء كان مازحًا أو جادًا وكذلك من

(١) كتاب "إحياء علوم الدين" ٣/ ١٣٣.

استهزأ بالله تعالىٰ أو بآياته أو برسله أو كتبه قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [التوبة:٦٥].[1]

قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأشد الاحتقار المماراة فإن من رد علىٰ غيره كلامه فقد نسبه إلىٰ الجهل والحمق أو إلىٰ الغفلة والسهو عن فهم الشيء علىٰ ما هو عليه وكل ذلك استحقار وإيغار للصدر وإيحاش.[2]

وقال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الردة: قطع المسلم المكلف المختار الإسلام بنية أو قول كفر أو فعل عناد أو استهزأ أو اعتقاد كإلقاء مصحف بقاذورات أو قذف نبي ولا شيء إن أسلم وتقبل توبته.[3]

- **قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** وأما الذي يتكبر بالعجب أو الحسد أو الحقد فإنه يتكبر أيضًا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي إلىٰ نسب شريف كاذبًا وهو يعلم أنه كاذب ثم يتكبر به علىٰ من ليس ينتسب إلىٰ ذلك النسب ويترفع عليه في المجالس ويتقدم عليه في الطريق ولا يرضىٰ بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنابأنه كاذب في دعوىٰ النسب ولكن يحمله الرياء علىٰ أفعال المتكبرين وكأن اسم المتكبر إنما يطلق في الأكثر علىٰ من يفعل هذه

---

(١) "المغني"١٠/ ١٠٣.

(٢) "إحياء علوم الدين"٣/ ١٨٠.

(٣) "التذكرة".

الأفعال عن كبر الباطن صادر عن العجب والنظر إلىٰ الغير بعين الاحتقار وهو إن سمي متكبرًا فلأجل التشبه بأفعال الكبر نسأل الله حسن التوفيق والله تعالىٰ.(١)

- **قال الشيخ ابن باز** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حرمة السخرية الأولىٰ: السخرية من الرجال بعضهم ببعض، أو النساء، وأن الواجب علىٰ المؤمن أن يحذر السخرية من أخيه والاستهزاء بأخيه، فربما كان المستهزأ به أفضل عند الله وخيراً من هذا المستهزئ الساخر المتنقص، وهكذا النساء مع بعضهن، ولهذا قال عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ذكرهم بالإيمان الذي يجب أن يمنعهم مما حرم الله ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [الحجرات:١١] لا تسخر من فقره، أو دمامته، أو عرجه أو غير هذا من الأسباب، وكذلك المرأة لا تسخر من أختها ولا من أخيها، بل يجب علىٰ المؤمن أن يشكر الله إذا حباه فضلاً علىٰ غيره، وأن يحمد الله الذي عافاه مما ابتلىٰ به غيره، أما أن يسخر ويستهزئ فذلك من نقص العقل والدين حرمة اللمز والعيب.

المسألة الثانية: يقول جلا وعلا: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات:١١] اللمز: العيب، لا يعب بعضكم بعضًا، لا تعب أخاك بشيء ابتلاه الله به، من نقص في ماله، أو في جاهه، أو في خلقته أو نحو ذلك، فإن هذا يشبه الاستهزاء، فالواجب عليك أن تحمد الله وتشكره علىٰ ما أعطاك من النعم، وألا تعيب أخاك وتلمزه،

---

(١) إحياء علوم الدين"٣/ ٣٥٤.

واللمز هو المسمىٰ: العيارة، أن يعيره بشيء فيه من النقص، هذا لا يجوز، وهو من أسباب البغضاء والشحناء، ومن أسباب العداوة والفرقة ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات:١١] أي: لا يلمز بعضكم بعضاً ولا يعيب بعضكم بعضاً؛ سواء بأشياء خارجية من فقر أو غير ذلك، أو داخلية من نقص في خلقته يعيبه بذلكحرمة التنابز بالألقاب

المسألة الثالثة: قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ [الحجرات:١١] التنابز التداعي بالألقاب القبيحة: يا حمار! يا فاجر! يا كافر! يا قبيح! يا أعرج! يا كذا! يدعوه بألقاب لا يرضاها، هذا -أيضاً- من أسباب الشحناء والعداوة والبغضاء، وربما أفضىٰ إلىٰ القتال والفتن، فالواجب أن يدعوه بالأسماء الطيبة، والأسماء التي يحبها: يا فلان يا محمد يا أبا عبد الله أما أن يدعوه بأسماء أو بعبارات وألقاب يكرهها، فهذا هو التنابز بالألقاب، فيجب الحذر من ذلك؛ لئلا يجر إلىٰ الفتن والشحناء والعداوة والبغضاء، ولهذا قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ [الحجرات:١١].

فبين لنا أن من تعاطىٰ هذه الأمور يكون فاسقاً، فكيف يرضىٰ بحاله أن يكون بعد الإيمان فاسقاً خارجاً عن طاعة الله جل وعلا؟ والفسوق هو الخروج عن الطاعة.[1]

- **قال الشيخ سعيد بن وهف القحطاني** رَحِمَهُ اللَّهُ: والمتكبر ينظر إلىٰ نفسه بعين

(١) كتاب" دروس للشيخ عبد العزيز بن باز"١٢/ ١٠-١١.

الكمال وإلىٰ غيره بعين النقص، فيحتقرهم ويزدريهم، ولا يراهم أهلًا لأن يقوم بحقوقهم، ولا أن يقبل من أحدهم الحق إذا أورده عليه.(١)

وقال السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المستهزئ بغيره يرىٰ فضل نفسه بعين الرضىٰ عنها، ويرىٰ نقص غيره بعين الاحتقار، إذ لو لم يحتقر غيره لما سخر منه.(٢)

من علاج الكبر:

قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يأمن الإنسان لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره، وتفلج أعضاؤه ويختلس عقله، ويختطف روحه، ويسلب جميع ما يهواه في دنياه، فهو مضطر ذليل إن ترك بقي لا يقدر علىٰ شيء وإن اختطف فني، عبد مملوك لا يقدر علىٰ شيء من نفسه، ولا شيء من غيره، فأي شيء أذل منه لو عرف نفيه، وأنّىٰ يليق الكبر به لولا جهله، فهذا وسط أحواله فليتأمله، وأما آخره فهو الموت المشار إليه بقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ۝٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ۝٢٢﴾ [عبس:٢١-٢٢].

ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته فيعود جمادًا كما كان أول مرة، لا يبقىٰ إلا شكل أعضائه وصورته، لا حس فيه ولا حركة، ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة، ثم تبلىٰ أعضاؤه، وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه، ويأكل الدود أجزاءه فيصير روثًا في

---

(١) "سلامة الصدر" ص٢٤.

(٢) "غذاء الألباب"١/ ١٣١.

أجواف الديدان، ويكون جيفة يهرب منه الحيوان، ويستقذره كل إنسان ويهرب منه لشدة الإنتان وليته بقي كذلك، فما أحسنه لو ترك، لا ، بل يحييه بعد طول البلىٰ ليقاسي شديد البلا، فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرقة، ويخرج إلىٰ أهوال القيامة، فينظر إلىٰ قيامة قائمة، وسماء مشققة ممزقة ، وأرض ملبدة، وجبال مسيرة، ونجوم منكدرة، وشمس منكسفة، وأحوال مظلمة، وملائكة غلاظ شداد، وجهنم تزفر، وجنة ينظر إليها المجرم فيتحسر، ويرىٰ صحائف منشورة، فيقال له: اقرأ كتابك، فيقول: وما هو؟ فيقال: كان قد وكل بك في حياتك التي كنت تتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما تنطق به أو تعمله من قليل أو كثير وصغير وكبير، قد نسيت ذلك وأحصاه الله عليه، فهلم إلىٰ دار الحساب، واستعد للجواب، او تساق إلىٰ دار العذاب، فينقطع قلبه فزعًا من هول هذا الخطاب قبل أن تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه، فإذا شاهده قال: ﴿يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾ [الكهف:٤٩].

فهذا آخر أمره، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾ [عبس:٢٢] فما لمن هذه حاله والتكبر والتعظم؟ بل ما له وللفرح فضلًا عن البطر فقد ظهر له أول حاله ووسطه، ولو ظهر آخره والعياذ بالله تعالىٰ، ربما اختار أن يصير مع البهائم ترابًا، ولا يكون إنسانًا يسمع خطابًا أو يلقىٰ عذابًا، فمن هذا حاله في العاقبة إلا أن يعفو الله عنه، وهو علىٰ شك من العفو فيكف يفرح ويبطر؟ وكيف

يتكبر ويتجبر؟ حقًا يكفيه ذلك حزنًا وخوفًا وإشفاقًا ومهانة وذلًا فهذا هو العلاج العلمي القامع لأصل الكبر.(١)

أسباب احتقار الآخرين:

الأول النسب: فمن يعتريه من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة أن هذا جهل من حيث إنه تعزز بكمال غيره، ومن كان خسيسًا فمن أين تجبر خسته بكمال غيره، وبمعرفة نسبه الحقيقي أعني أباه وجده، فإن أباه القريب نطفة قذرة، وجده البعيد تراب، وقد عرف الله تعالىٰ نسبه فقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨﴾ [السجدة:٧-٨].

فإذا كان أصله من التراب وفصله من النطفة فمن أين تأتيه الرفعة؟ فهذا هو النسب الحقيقي للإنسان ومن عرفه لا يتكبر بالنسب.

الثاني: بسبب الجمال: ودواؤه أن ينظر إلىٰ باطنه نظر العقلاء، ولا ينظر إلىٰ الظاهر نظر البهائم، ومهما نظر إلىٰ باطنه رأىٰ من القبائح ما يكدر عليه تعززه بالجمال، إذ خلق من أقذار ووكل به في جميع أجزائه الأقذار، وجماله لا بقاء له، بل هو في حين يتصور أن يزول بمرض أو سبب من الأسباب، فكم من وجوه جميلة قد سمجت بهذه الأسباب، فمعرفة ذلك تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن أكثر تأملها.

---

(١) كتاب "موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين"ص٢٤٩.

الثالث: استحقار الآخرين اغترارًا بالقوة: ويمنعه من ذلك أن يعلم ما سلط الله عليه من العلل والأمراض، وأنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أعجز من كل عاجز، أو أن شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته، وأن حمىٰ يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة، فمن لا يطيق شوكة، ولا يقاوم بقة، فلا ينبغي أن يفتخر بقوته، ثم أن قوىٰ الإنسان فلا يكون أقوىٰ من حمار أو بقرة، أو فيل أو جمل، وأي افتخار في صفة يسبقك بها البهائم.

السبب الرابع: الغنىٰ وكثرة المال: وفي ممعناه كثرة الاتباع والأنصار والتكبر بالمناصب والولايات، وكل ذلك تكبر بمعنىٰ خارج عن ذات الإنسان، وهذا أقبح أنواع الكبر فلو ذهب ماله أو احترقت دار لعاد ذليلاً، وكم في اليهود من يزيد عليه في الغنىٰ والثروة والتجمل، فأفٍ لشرف يسبقه به يهودي، أو يأخذه سارق في لحظة فيعود ذليلًا مفلسًا.

الخامس: الاغترار بالعلم: وهو أعظم الآفات وعلاجه بأمرين:

أحدهما: أن يعلم أن حجة الله على أهل العلم آكد، وأنه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم، فإن من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته أفحش وخطره أعظم.

ثانيهما: أن يعرف أن الكبر لا يليق إلا بالله عز وجل وحده، وأنه إذا تكبر صار ممقوتًا عن الله بغيضًا، فهذا مما يزيل التكبر ويبعث علىٰ التواضع، وإذا

دعته نفسه للتكبر علىٰ فاسق أو مبتدع فليذكر ما سبق من ذنوبه وخطاياه لتصغر نفسيه في عينه، وليلاحظ إبهام عاقبته وعاقبة الآخر فلعله يختم له بالسوء ولذاك بالحسنة، حتىٰ يشغله الخوف عن التكبر عليه، ولا يمنعه ترك التكبر عليه أن يكرهه ويغضب لفسقه، بل يبغضه ويغضب لربه إذ أمره أن يغضب عليه من غير تكبر عليه.

السادس: الاغترار بالورع والعبادة: وذلك فتنة عظيمة علىٰ العباد، وسبيله أن يلزم قلبه التواضع لسائر العباد، قال وهب بن منبه: ما تم عقل عبد حتىٰ يكون فيه خصال، وعد منها خصلة قال: بها ساد مجده، وبها علا ذكره أن يرىٰ الناس كلهم خيرًا منه وإنما الناس عنده فرقتان: فرقة هي أفضل منه وأرفع، وفرقة هي شر منه وأدنىٰ فهو يتواضع للفرقتين جميعًا بقلبه، وإن رأىٰ من هو خير منه سره ذلك وتمنىٰ أن يلحق به وإن رأىٰ من هو شر منه قال: لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه إلا خائفًا من العاقبة، ويقول: لعل بر هذا باطن فذلك خير له، ولا أدري لعل فيه خلقًا كريمًا بينه وبين الله فيرحمه الله ويتوب عليه، ويختم له بأخس الأعمال ويرىٰ ظاهر ذلك شر لي، فلا يأمن فيما أظهره من الطاعة أن يكون دخلها الآفات فأحبطتها. قال: فحينئذٍ كما عقله وساد أهل زمانه.

والذي يدل علىٰ فضيلة هذا الإشفاق قوله تعالىٰ: ﴿يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون:٦٠] أي أنهم يؤتون الطاعات وهم علىٰ وجل عظيم من قبولها، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾

[المؤمنون:٥٧] ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطور:٢٦].

وقد وصف الله تعالىٰ الملائكة عليهم السلام مع تقدسهم عن الذنوب ومواضبتهم علىٰ العبادات بالدؤوب علىٰ الإشفاق فقال تعالىٰ مخبراً عنهم: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء:٢٠]، ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء:٢٨] فمتىٰ زال الإشفاق والحذر غلب الأمن من مكر الله، وذلك يوجب الكبر، وهو سبب الهلاك، فالكبر دليل الأمن والأمن مهلك، والتواضع دليل الخوف، وهو مسعد؛ فإذن ما يفسده العباد بإضمار الكبر واحتقار الخلق أكثر مما يصلحه بظاهر الأعمال؛ فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب، إلا أن النفس بعد هذه المعرفة قد تضمر التواضع وتدعي البراءة من الكبر، وهي كاذبة، فإذا وقعت الواقعة عادت إلىٰ طبعها، فعن هذا لا ينبغي أن يكتفىٰ في المداواة بمجرد المعرفة، بل ينبغي أن تكمل بالعمل، وتجرب بأفعال المتواضعين في مواقع هجيجان الكبر من النفس، وبيانه أن يمتحن النفس بالامتحانات الدالة علىٰ استخراج ما في الباطن، والامتحانات كثيرة فمنها وهو أولها: أن يناظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق علىٰ لسان صاحبه فثقل عليه قبوله والانقياد له والشكر له علىٰ تنبيه فذلك يدل علىٰ أن فيه كبرًا دفينًا فليتق الله فيه ويشتغل بعلاجه، أما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه، وخطر عاقبته وأن الكبر لا يليق إلا بالله تعالىٰ، وأما العمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق، وأن يطلق اللسان بالحمد والثناء،

ويقر علىٰ نفسه بالعجز، ويشكره علىٰ الاستفادة، ويقول: ما أحسن ما فطنت له، وقد كنت غافلًا عنه فجزاه الله خيرًا كما نبهتني له، فالحكمة ضالة المؤمن فإذا وجدها ينبغي أن يشكر من دله عليها، فإذا واضب علىٰ ذلك كرات متوالية صار ذلك له طبعًا، وسقط ثقل الحق عن قلبه، وطاب له قبوله، ومهما ثقل عليه الثناء علىٰ أقرانه بما فيهم ففيه كبر.

الامتحان الثاني: أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل ويقدمهم علىٰ نفسه ويمشي خلفهم، ويجلس في الصدور تحتهم فإن ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب عليه تكلفًا حتىٰ يسقط عنه ثقله، فبذلك يزايله الكبر، وها هنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف النعال أو يجلس بينه وبين الأقثران بعض الأراذل فيظن أن ذلك تواضع، وهو عين الكبر، فإن ذلك يخف علىٰ نفوس المتكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون قد تكبر بإظهار التواضع أيضًا، بل ينبغي ان يقدم أقرانه، ويجلس بجبنهم، ولا ينحط عنهم إلىٰ صف النعال، فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن.

الامتحان الثالث: أن يجيب دعوة الفقير ويمر إلىٰ السوق في حاجة الرفقاء، والأقارب فإن ثقل ذلك عليه فهو كبر، فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق، والثواب عليها جزيل، فنفور النفس عنها ليس إلا لخبث في الباطن، فليشتغل بإزالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر.

الامتحان الرابع: أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق إلىٰ البيت، فإن أبت نفسه ذلك فهو كبر أو رياء، وكل ذلك من أمراض القلوب وعلله المهكلة له إن لم تتدرك، وقد أهمل الناس طب القلوب، واشتغلوا بطب الأجساد مع أن الأجساد قد كتب عليها الموت لا محالة، والقلوب لا تدرك السعادة إلا بسلامتها إذ قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٨٩] انتهىٰ بتصرف.(١)

نصيحة لطلاب العلم بعدم احتقار الآخرين:

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فنصيحتي لطلبة العلم: بألا يتشاغلوا بأمر يضيع عليهم الأوقات وأن يتجهوا إلىٰ التشاغل بالعلم والعمل به والدعوة إلىٰ الله عزو جل دون إعجاب بالنفس ودون احتقار للغير؛ لأن هذين داءان عظيمان: الإعجاب بالنفس والاحتقار للغير.(٢)

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فعلىٰ الشباب ألا يتعصبوا للأشخاص، بل يأخذوا الحق ممن جاء به كائنًا من كان، وألا يجعلوا الخلاف يقودهم إلىٰ احتقار الآخرين وهتك أستارهم وغيبتهم، فإن هذا مما لا يجوز بحال.(٣)

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مراعاة حقوق إخوانه من طلاب العلم

---

(١) كتاب "موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين" ص٢٥٠-٢٥٢.

(٢) "لقاء الباب المفتوح"٢٦/ ٢٧٥.

(٣) "مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين"٢٦/ ٢٦٨.

علىٰ طالب العلم أن ينتبه لحقوق إخوانه من طلاب العلم، فإن العلم رحمٌ بين أهله، فعلىٰ طلاب العلم أن ينتشر بينهم الحب والود وأخلاق الإسلام، فإنه إذا كان طلاب العلم قريبين من هذا الهدي الذي أدب الله عليه المؤمنين وجدت الرحمة بينهم، ووجدتهم متعاونين متعاطفين متآلفين متكاتفين، فإذا وجدتهم كذلك حمدت الله سبحانه، ولا يزال الإسلام بخير ما تراحم طلاب العلم، أما إذا انتشر بينهم الحسد والبغضاء، والعداوة والشحناء تفرقوا وتشتتوا وشغلوا عن طلب العلم، إياك أن تطعن في العلماء، وتشتت عنهم طلاب العلم، فبعض طلاب العلم يقدح في شيخ غيره، وبعضهم يريد أن طلاب العلم عند شيخه، وعند العالم الذي يتعلم علىٰ يده لا وألف لا، ويأبىٰ الله ويأبىٰ رسوله ﷺ أن تشتت شمل إخوانك، وأن تطعن في علمائك بدون وجه حق، إن كنت تتعلم العلم علىٰ عالم وضع الله له الخير والبركة، ووضع الخير والبركة في غيره من العلماء فكلٌ له حقٌ عليك، فاحفظ حقوق العلماء، وإياك أن تصرف همة طلاب العلم الذين أحبهم مشايخهم وعلماؤهم إلىٰ شيخك فقط، هذا من الغلو الذي لا يأذن الله به، ولا يأذن به رسوله ﷺ، قال ﷺ: «إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» فلا تغلُ في شيخك ولا تبالغ في تعظيمه، بحيث تحتسب أن الأمة مفتقرة لعلمه وحده دون غيره، فإن الله سبحانه وضع فضله حيث شاء، فاعترف لأهل العلم بفضلهم، وعلو مكانتهم، عندما كان طلاب العلم يثنون علىٰ العلماء، ويمجدونهم ويوقرونهم كان الناس بخير، ولكن لما أصبح طلاب

العلم يتكلم بعضهم في مشايخ البعض، ذهبت هيبة العلماء، وأصبحت عورات العلماء مكشوفة، فكل من يتحدث عن عالم يذكره بعورة، ولم يذكر عالم إلا وذكرت له لمزة أو زلة وإنا لله وإنا إليه راجعون، والله لا خير في الأمة إذا أصبحت تكشف عورات علمائها، ولا تتقي الله عز وجل في علمائها، ولا تحفظ لهم كرامة، ولا ترعىٰ فيهم إلاً ولا ذمة، علىٰ الإنسان إن يتقي الله، وأن يعلم أن أهل العلم حملة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لهم علينا حقوق عظيمة.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يسلمنا ويسلم منا، وأن يرزقنا الإخلاص، ويتقبل منا إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبيه محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.[(١)]

سؤال قُدم للخضير يهمنا نحن طلاب العلم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

هذا يقول: ما رأيكم في الذي يهوّن من قدر الكليات الشرعية، ويقول: بأن طلابها طلاب دنيا لا طلاب علم؟

هذا الكلام ليس بصحيح، وليس علىٰ إطلاقه، يوجد فيها طلاب علم، وفيها كتب علم، وفيها علماء يعلمون العلم، فهذا الكلام التعميم فيه ليس بصحيح، بل فيها طلاب العلم، وفيها طلاب دنيا، يعني جاءوا من أجل الشهادة

---

(١) "كتاب"دروس للشيخ الشنقيطي" ٦٢/ ١٥.



والوظائف هذا لا ينكر، وكثير منهم ممن جاء لطلاب الشهادات هو يجاهد نفسه في تصحيح النية، ونعرف منهم عدد أقلقهم هذا الأمر، وهم يحاولون ويجاهدون، ويسألون عن ترك الدراسة، ونقول لهم: إن الترك ليس بحل، الحل أن تجاهد، وإذا علم الله منك صدق النية أعانك، فهذا الكلام ليس بصحيح، فالكليات الشرعية فيها علماء، وفيها كتب علم تدرس، وفيها طلاب علم يدرسون العلم الشرعي، وفيها من في نيته دخن، سواءً كان من الطلاب أو من الأساتذة، وهذا معروف في جميع المرافق.

نعم طلاب العلم في حلق المساجد الذين لم يرتب علىٰ دراستهم شهادات ولا وظائف هذه لا شك أنها أقرب إلىٰ الإخلاص، لكن لا يعني أن طلاب العلم النظامي في الكليات الشرعية ليسوا بمخلصين، هذا الكلام ليس بصحيح، هذا جزاف ومجازفة، وطلاب العلم الشرعي قبل الدراسة النظامية يوجد فيهم من يطلب العلم للدنيا؛ لأنه يعرف أنه إذا تعلم تعين إما قاضي وإلا مسئول وإلا شيء، يعني كان القضاة يؤخذون من حلق المساجد، ففيهم من يطلب لهذا القصد، لكنهم أقل منهم في الكليات التي جعلت الشهادات حتم، والوظائف حتم، ومرتبطة بهذه الشهادات، لا شك أن هذا ظهر في الدراسات النظامية، لكن التعميم ليس بصحيح.(١)

وهكذا يجب علىٰ طالب العلم معرفة قدر علماء السنة وعدم ازدرائهم

---

(١) "شرح المحرر في الحديث" عبد الكريم الخضير ٣٩/ ١.

والتنقص منهم.

قال الشيخ محمد الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: أخلاق طالب العلم: كذلك هناك أمور ينبغي التنبيه عليها بالنسبة لطلاب العلم فيما بينهم، وهي: أخلاق الإسلام؛ أن يحرص طالب العلم علىٰ أن ينفع أخاه ما أمكنه، والتضحية والإيثار من خلق أصحاب النبي ﷺ، وقد أدب الله بذلك نبيه صلوات الله وسلامه عليه ، فيحرص طالب العلم علىٰ أن يؤثر أخاه إلا فيما فيه الخير من استثنائه للعلم، ويحرص طلاب العلم مع بعضهم علىٰ المحبة، والصفاء، والنقاء ، والمودة، وليعلم كل طالب منتسب إلىٰ شيخه أن عليه حرمة أن يزين هذه النسبة، وألا يشينها، فيكون عفيفًا عن أهل العلم، وعن حدود الله عز وجل ومحارمه، وعن العلماء وأوصيه بتقوىٰ الله في أهل العلم من السابقين والباقين- نفع الله بعلمهم- ممن قضوا ومضوا رحمة الله علىٰ الجميع، اوصي باحترامهم، وتوقيرهم، وحفظ حقوقهم، وأن لا يشين أحدًا من طلابنا، وكل إنسان محسوب علىٰ نفسه، وعندما يقال: هو من طلاب فلان، فلا يؤذي شيخه بل لا يؤذي حتىٰ طلابه ويشينهم، وهذا أمر أحب أن أوصي به؛ لأن الزمان كثرت فيه الفتن، وإن شاء الله طلاب العلم هم أرفع من هذا كله، كلن كثرة الفتن والمحن توجب التنبيه علىٰ مثل هذه الأمور.(١)

كذلك أيضًا مما يتواصىٰ به العلماء ويوصون به طلاب العلم عدم التنقص

---

(١) "شرح زاد المستنقع" للشنقيطي١٢/ ٤١٧.

من العلماء وازدرائهم عند الاختلافات الفقهية الاختلاف في أشياء يسع فيها الخلاف حينئذٍ لا تتعصب لشيخك، قال الشيخ يوسف الغفيص: (توقير كلام الأئمة في الخلاف المعتبر) المعتبر لكلام الأئمة في مقام الخلاف المعتبر، حتىٰ لو رجحت قول فلان من الأئمة فلا بد أن يكون لمن قوله مرجوح عندك قدر من التوقير، وكلمة (التوقير) أخف من كلمة (التعظيم)، ولذلك قيل في النصوص: التعظيم، وأما في الأئمة فيقال: التوقير، ومن قلة الفقه عند البعض أن يجعل هناك قدرًا من التمانع بين توقير الأئمة وبين تعظيم النصوص، والأمر ليس كذلك لمن كان فقهه حسنًا منضبطًا.[1]

وقال الإمام ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وغيبة العلماء ليست كغيبة عامة الناس، لأن العلماء لهم من الفضل والتقدير والاحترام ما يليق بحالهم، ولأن غيبة العلماء تؤدي إلىٰ احتقارهم وسقوطهم من أعين الناس، وبالتالي إلىٰ احتقار ما يقولون من شريعة الله، وعدم اعتبارها، وحينئذ تضيع الشريعة بسبب غيبة العلماء، ويلجأ الناس إلىٰ جهالٍ يفتون بغير علم، وكذلك غيبة الأمراء وولاة الأمور الذين جعل الله لهم الولاية علىٰ الخلق، فإن غيبتهم تتضاعف، لأن غيبتهم توجب احتقارهم عند الناس وسقوط هيبتهم، وإذا سقطت هيبة السلطان فسدت البلدان، وحلت الفوضىٰ والفتن، والشر والفساد، ولو كان هذا الذي يغتاب ولاة الأمور، يقصد الإصلاح، فإن ما يفسد أكثر مما يصلح، وما يترتب

---

(١) "كتاب "شرح رسالة رفع الملام عن الأئمة الأعلام"٤/ ١٠.

علىٰ غيبة ولاة الأمور أعظم من الذنب الذي ارتكبوه، لأنه كلما هان شأن السلطان في قلوب الناس تمردوا عليه ولم يعبئوا بمخالفته ولا بمنابذته، وهذا بلا شك ليس إصلاحـًا، بل هو إفساد وزعزعة للأمن ونشر للفوضىٰ، والواجب مناصحة ولاة الأمور من العلماء والأمراء علىٰ وجه تزول به المفسدة، وتحل به المصلحة، بأن يكون سرًّا وبأدب واحترام، لأن هذا أدعىٰ للقبول وأقرب إلىٰ الرجوع عن التمادي في الباطل، وربما يكون الحق فيما انتقده عليه منتقد، لأنه بالمناقشة يتبين الأمر، وكم من عالم أغتيب وذكر بما يكره، فإذا نوقش هذا العالم تبين أنه لم يقل ما نسب إليه، وأن ما نسب إليه كذب باطل، يقصد به التشويه والتشويش والحسد، وربما يكون ما نسب إليه حقـًا، ولكن له وجهة نظر تخفىٰ علىٰ كثير من الناس، فإذا نوقش وبين وجهة نظره ارتفع المحظور.

أما كون الإنسان بمجرد ما يؤتىٰ له عن ولي الأمر من أمير، أو عالم يذهب فيشيع السوء ويخفي الصالح، فهذا ليس من العدل وليس من العقل، وهو ظلم واضح، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ﴾ [المائدة:٨] يعني لا يحملكم بغضهم علىٰ ترك العدل، ﴿ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾ [المائدة:٨] فنسأل الله سبحانه وتعالىٰ أن يجنبنا أسباب الشر والفساد وأن يؤلف بين قلوبنا، وأن يجعلنا من المحتابين فيه، المتعاونين علىٰ

البر والتقوىٰ، إنه علىٰ كل شيء قدير. [(١)]

قلت: لقد سلك أعداء الإسلام هذا المسلم المشؤوم الذي جنت ثماره البائسة الشعوب الغافلة عن مخططات الأعداء ألا وهو احتقار وازدراء كبار علماء الأمة واضعاف هيبتهم ومكانتهم من قلوب شباب الأمة ببتر المقاطع وتعديلها ونشرها وإظهار الغيرة علىٰ الدين والجهاد، وأن هؤلاء العلماء مثبطون وعلماء سلطان وأنهم لا يفقهون الواقع فحذاري حذار ممن يحذر من العلماء الكبار الأثبات حملة الشريعة أمناء الله في أرضه علىٰ خلقه كالشيخ صالح الفوزان والشيخ الرسلان المصري والشيخ محمد بن علي فركوس الجزائري والشيخ العباد والرحيلي وكثير لا يحصون من علماء الأمة كالشيخ ربيع المدخلي ومحمد أمان الجامي والشيخ الوادعي وطلابه الثابتون علىٰ ما كان عليه، لقد سلك الحزبيون مسلك التحذير من هؤلاء وأمثالهم فالله المستعان.

وهناك كلام للشيخ عبد العزيز الراجحي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما يتصف به طالب العلم من الصفات الحميدة:

- أن يكون بعيدًا عن الكبر والرياء والاحتقار والازدراء فلا يرىٰ لنفسه عزة وعلوًا علىٰ المأمور والمنهي، بالعلم والتنزه عن مثل هذه المعصية، ولا يرىٰ احتقار المنكر عليه بالجهل والوقوع في المعصية وازدراء لذلك، حذرًا من أن

---

(١) "مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين"٢١/ ٤٤.

يكون قصده الباطن بكلامه إظهار رتبته بشرف العلم والعفة، وإذلال صاحبه بنسبته إلىٰ خسة الجهل ورذالة المعصية؛ فإن علم من نفسه أن هذا هو الباعث له علىٰ الإنكار فقد وقع في منكر أقبح في نفسه من المنكر الذي أنكره، ومثله في هذا كمثل من يخلص غيره من النار بإحراق نفسه، وهو كمن يأمر بالمعروف ولا يأتيه وينهىٰ عن المنكر ويأتيه، وهذه مذلة عظيمة وغرور من الشيطان.(١)

قال الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الحكيم: أربعة أعمال مذمومة يعملها الناس فيجازون بها في الدنيا والآخرة الغيبة فقد قيل: فارس يلحق سريعًا والثاني: احتقار العلماء؛ لأن من احتقر عالمًا عاد حقيرًا، والثالث: كفران نعم الله عز وجل، والرابع: قتل النفس بغير حقٍ.(٢)

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وغيبة العلماء والأمراء أشد من غيبة غيرهم؛ لأن غيبة العلماء يحصل بها انحطاط قدر العالم بين الناس، وإذا انحط قدر العالم بين الناس لم يقبلوا قوله ولا ما يجيء به من شريعة اللاه، فتكون غيبة العالم قدحًا فيه، ومنعًا لما ينتفع به الناس مما يبينه من شريعة الله عز وجل.

وغيبة الأمراء أيضًا عظيمة؛ لأن الناس إذا انحط قدر أمرائهم عندهم. فإنهم

---

(١) كتاب "القول البين الأظهر في الدعوة إلىٰ الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"ص١١٤.

(٢) "كتاب "التبر المسبوك في نصيحة الملوك" ص١١٤.

لن ينصاعوا لأوامرهم، سوف يحتقرونهم، فتحصل الفوضىٰ، ويختل الأمن.(١)

وقال ابن عثيمين في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩] وهذا يشمل العلماء والأمراء فإذا كان هؤلاء قد أمرنا بطاعتهم في غير معصية الله فالواجب احترامهم واحترام أعراضهم، وإذا علمنا من أحدٍ منهم خطأً أو زللًا فالواجب النصيحة له حتىٰ يزول الإشكال.(٢)

ما يجب على طالب العلم أثناء دعوته

قال الشيخ عبد الرحيم المغذوي: إن احتقار الأشخاص واستصغارهم ليس من الإسلام؛ لذلك" لا يجوز للداعي أن يستصغر شأن أي إنسان أو يستهين به فلا يدعوه؛ لأن من حق كل إنسان أن يدعىٰ ويهتم بأمره، وقد يصبح هذا الذي لا يقيم له الداعي وزنًا هو عند الله له وزن كبير بإيمانه وعلمه وعمله، وكذا خدمته لللإسلام والدعوة إليه وقد كان رسول الله ﷺ ويدعو كل من يراه دون استصغار لأحد أو استهانة بوضعه، فقد دعا علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- وهو صبي ابن تسع سنين وقيل: دون التسع سنين، وقيل: إحدىٰ عشرة سنة، فلم يستهن الرسول ﷺ بصغره، فكان علي رضي الله عنه- من الرسول ﷺ كمنزلة هارون من موسىٰ وحمل لواء الرسول في اكثر المشاهد وفتح الله علىٰ يديه حصن

(١) "كتاب "مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين"٢٦/ ٢٦٨.

(٢) "مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين"٢٦/ ٢٦٨.

خيبر وكان خليفة المؤمنين، وهذا عمار بن ياسر كان فقيرًا ومن المستضعفين في مكة حيث إنه لا عشيرة له ولا منعة ولا قو، فأصبح من المبشرين بالجنة، وغيرهم كثير كما أن الرسول ﷺ كان يعرض نفسه علىٰ قبائل العرب وزعمائها ولم يستجب له أحد منهم حتىٰ لقي عند العقبة من منىٰ في الموسم- موسم الحج –ستة نفر كلهم من الخزرج وهم يحقلون رؤوسهم فجلس إليهم فدعاهم واستجابوا لله ولرسوله وآمنوا وصدقوا فجعل الله من هؤلاء الستة علىٰ قلة عددهم نواة إسلام الأنصار، وإنشاء عاصمة الدولة الإسلامية في المدينة، فلم يقلل الرسول ﷺ من شأن هؤلاء النفر ومن قلة عددهم مقارنة بالقبائل التي كانت في ذلك الموسم.

وكذلك تلطفه ﷺ مع عداس وهو غلام نصراني لعتبة وشيبة أبناء ربيعة وذلك بعد أن دعا سادة ثقيف وأشرافهم وطردهم له وإغراء سفهائهم وعبيدهم بسبه ورجمه وطرده، يقول البيهقي: وكان ﷺ لا يحقر أحدًا أن يبلغه رسالة ربه،

وقد وصف الله سبحانه الأقوام الكافرة أنهم هم من يحتقرون غيرهم، فقال تعالىٰ في قوم نوح عليه السلام: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود:٢٧]، فالإحتقار من صفات الكفار، وقد وضع الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ لسان رسوله ﷺ قاعدة للميزان الذي يجب علىٰ المسلم اتباعه في تعامله مع الناس، يقول الرسول ﷺ:

«إن الله لا ينظر إلىٰ صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلىٰ قلوبكم وأعمالكم» وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم علىٰ الله لأبره» فالحديثان السابقان يضعان القاعدة التي يجب علىٰ المسلم بشكل عام والداعية بشكل خاص أن يتبعها ويجعلها نصب عينيه، وقد حرص صحابة رسول الله ﷺ علىٰ هذا؛ فنجد أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشتري بلال بن رباح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو عبد مملوك لا يملك حتىٰ نفسه ويقدمه لأجل الإسلام، فأصبح مؤذن الرسول ﷺ وهو الذي قال له الرسول ﷺ : «...فإني سمعت الليلة خشف نعليك بين يدي في الجنة».(١)

قال نجم الدين الغزي: فأما إزدراء الناس فلا إلا أن يكون ازدراؤه لأهل المعصية منهم بزجرهم وتأديبهم وازدراء أهل العلم والدين قبيح مذموم.(٢)

۞ صاحب العلم الشرعي المخلص لا يتكبر:

قال جمال الدين القاسمي!: وَمَا أَسْرَعَ الْكِبْرَ إِلَىٰ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَسْتَشْعِرَ فِي نَفْسِهِ كَمَالَ الْعِلْمِ فَيَسْتَعْظِمَ نَفْسَهُ وَيَسْتَحْقِرَ النَّاسَ وَيَسْتَجْهِلَهُمْ وَيَسْتَخْدِمَ مَنْ خَالَطَهُ مِنْهُمْ.

وَقَدْ يَرَىٰ نَفْسَهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ أَعْلَىٰ وَأَفْضَلَ مِنْهُمْ فَيَخَافُ عَلَيْهِمْ أَكْثَرَ مِمَّا يَخَافُ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ أَكْثَرَ مِمَّا يَرْجُو لَهُمْ، وَسَبَبُ كِبْرِهِ بِالْعِلْمِ أَمْرَانِ:

---

(١) "الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية"٢/ ٥٦٩.

(٢) "كتاب حسن التنبه لما ورد في التشبه"١١/ ٣١٣.

أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ اشْتِغَالُهُ بِمَا يُسَمَّىٰ عِلْمًا وَلَيْسَ عِلْمًا فِي الْحَقِيقَةِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ الْحَقِيقِيَّ مَا يَعْرِفُ بِهِ الْعَبْدُ رَبَّهُ وَنَفْسَهُ وَخَطَرَ أَمْرِهِ فِي لِقَاءِ اللهِ وَالْحِجَابِ مِنْهُ، وَهَذَا يُورِثُ الْخَشْيَةَ وَالتَّوَاضُعَ دُونَ الْكِبْرِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر:٢٨].

ثَانِيهِمَا: أَنْ يَخُوضَ فِي الْعِلْمِ، وَهُوَ خَبِيثُ الدُّخْلَةِ رَدِيءُ النَّفْسِ سَيِّئُ الْأَخْلَاقِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَشْتَغِلْ أَوَّلًا بِتَهْذِيبِ نَفْسِهِ وَتَزْكِيَةِ قَلْبِهِ بِأَنْوَاعِ الْمُجَاهَدَاتِ فَبَقِيَ خَبِيثَ الْجَوْهَرِ، فَإِذَا خَاضَ فِي الْعِلْمِ صَادَفَ الْعِلْمُ مِنْ قَلْبِهِ مَنْزِلًا خَبِيثًا فَلَمْ يَطِبْ ثَمَرُهُ وَلَمْ يَظْهَرْ فِي الْخَيْرِ أَثَرُهُ، وَقَدْ ضَرَبَ «وهب» لِهَذَا مَثَلًا فَقَالَ: الْعِلْمُ كَالْغَيْثِ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ حُلْوًا صَافِيًا فَتَشْرَبُهُ الْأَشْجَارُ بِعُرُوقِهَا فَتُحَوِّلُهُ عَلَىٰ قَدْرِ طُعُومِهَا فَيَزْدَادُ الْمُرُّ مَرَارَةً وَالْحُلْوُ حَلَاوَةً، فَكَذَلِكَ الْعِلْمُ يَحْفَظُهُ الرِّجَالُ فَتُحَوِّلُهُ عَلَىٰ قَدْرِ هِمَمِهَا وَأَهْوَائِهَا، فَيَزِيدُ الْمُتَكَبِّرَ كِبْرًا وَالْمُتَوَاضِعَ تَوَاضُعًا، وَهَذَا؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ الْكِبْرَ هُوَ جَاهِلٌ فَإِذَا حَفِظَ الْعِلْمَ وَجَدَ مَا يَتَكَبَّرُ بِهِ فَازْدَادَ كِبْرًا، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ خَائِفًا مَعَ عِلْمِهِ فَازْدَادَ عِلْمًا عَلِمَ أَنَّ الْحُجَّةَ قَدْ تَأَكَّدَتْ عَلَيْهِ فَيَزْدَادُ خَوْفًا.[١]

كيفية التخلص من احتقار الآخرين

علاج الاحتقار: ويؤكد ابن حزم علىٰ هذه الوسيلة في علاج العجب فيقول:

---

(١) كتاب "موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين" ص٢٤٥.

كانت فيَّ عيوب...ومنها عجب شديد، فناظر عقلي نفسي بما يعرفه من عيوبها، حتىٰ ذهب كله ولم يبق والحمد لله أثر، بل كلفت نفسي احتقار قدرها جملة واستعمال التواضع.(١)

۞ كيفية اكتساب التواضع:

س: تكاثرت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة في الأمر بالتواضع للحق والخلق والثناء علىٰ المتواضعين وذكر ثوابهم العاجل. كما تكاثرت النصوص كالنهي عن الكبر والتكبر والتعاظم وبيان عقوبة المتكبرين.... فبأي شيء يكون علاج الكبر واكتساب التواضع؟

ج: لا شك أن الواجب علىٰ كل مسلم أن يحذر الكبر وأن يتواضع و «من تواضع لله درجة رفعه الله درجة » ومن تكبر فهو علىٰ خطر أن يقصمه الله - نسأل الله العافية - قال رجل: يا رسول الله إني أحب أن يكون ثوبي حسنا ونعلي حسنا أفذلك من الكبر؟ فقال الرسول ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس » . بطر الحق: أي: رد الحق، إذا خالف هواه رده، وغمط الناس أي: احتقار الناس، فالناس في عينه دونه، يحتقرهم، يرىٰ نفسه فوقهم؛ إما لفصاحته وإما لغناه وإما لوظيفته وإما لأسباب أخرىٰ يتخيلها، وقد يكون فقيرا، في الحديث الصحيح يقول الرسول ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب،

(١) "الأخلاق والسير" لابن حزم ص١٠٨ دار ابن حزم بيروت.

وعائل مستكبر عائل: أي فقير ومع فقره يستكبر ويبتلىٰ بالكبر، فالكبر يدعو إليه المال والغنىٰ، ومع فقره فهو يستكبر فالكبر سجية له وطبيعة له.

أما التواضع: فهو لين الجانب وحسن الخلق وعدم الترفع علىٰ الناس، كما قال ﷺ: «إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا» «البر حسن الخلق».

فليتذكر عظمة الله ويتذكر أن الله هو الذي أعطاه المال، وأعطاه الوظيفة، وأعطاه الجاه وأعطاه الوجه الحسن، أو غير ذلك.... يتذكر أن من شكر ذلك التواضع وعدم التكبر.... لا يتكبر لمال أو لوظيفة أو لنسب أو لجمال أو لقوة أو لغير ذلك.... بل يتذكر أن هذه من نعم الله وأن من شكرها أن يتواضع وأن يحقر نفسه وألا يتكبر علىٰ إخوانه ويترفع عليهم، فالتكبر يدعو إلىٰ الظلم والكذب وعدم الإنصاف في القول والعمل، يرىٰ نفسه فوق أخيه إما لمال وإما لجمال وإما لوظيفة وإما لنسب وإما لأشياء متوهمة، ولهذا قال ﷺ: «الكبر بطر الحق وغمط الناس » يعني رد الحق إذا خالف هواه هذا تكبر، وغمط الناس: احتقار الناس يراهم دونه وأنهم ليسوا جديرين بأن ينصفهم أو يبدأهم بالسلام أو يجيب دعوتهم أو ما أشبه ذلك.

وإذا تذكر ضعفه وأنه من نطفة ضعيفة من ماء مهين وأنه يحتاج إلىٰ حمام لقضاء الحاجة وأنه يأكل من هنا ويخرج من هنا، وأنه إذا لم يستقم علىٰ طاعة

الله صار إلىٰ النار عرف ضعفه وأنه مسكين ولا يجوز له أن يتكبر.(١)

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: إذا كنت لا تحب لأخيك ما تحبه لنفسك فأنت مصر علىٰ كبيرة من كبائر الذنوب.(٢)

قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فينبغي للإنسان أن لا يحتقر أحدًا فربما كان المحتقر أطهر قلبًا وأزكىٰ عملًا وأخلص نية فإن احتقار عباد الله يورث الخسران ويورث الذل والهوان.(٣)

قال العلامة الشيخ مرعي في "أقاويل الثقات": الإستهزاء من باب العبث والسخرية فمعنىٰ يستهزئ بهم أي يجازيهم علىٰ استهزائهم بهم أي يجازيهم علىٰ استهزائه، وهو من باب المشاكلة في اللفظ ليزدوج الكلام: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ﴾ [الحشر:١٩]، والمعنىٰ: يعاملهم معاملة المستهزئ، أما في الدنيا فبإجراء أحكام المسلمين عليهم، واستدراجهم بالإمهال، وأما في الآخرة فيروىٰ أنه يفتح لأحدهم باب الجنة فيسرع نحوه فإذا سار إليه سد دونه، ثم يفتح له باب آخر، فإذا أقبل عليه سد دونه، وهذا الذي قاله علىٰ طريقة الخلف، وأما مذهب السلف فلا يؤولون ولا يكيفون بما أخبر،

---

(١) "مجموع فتاوىٰ ومقالات ابن باز"٩/ ٢٦٩.

(٢) "فتح ذي الجلال"٣/ ٥٣٦.

(٣) "فيض القدير"٥/ ٣٨٠.

لا كما يخطر في أوهام البشر.[١]

وقال بعضهم: لو سخرت من راضع لخشيت أن يجوز بي فعله.[٢]

السخرية محرمة بإجماع أهل العلم، وكبيرة من كبائر الذنوب، يجب علىٰ المسلم تجنبها، والحذر منها، وهي من صفات المنافقين والكافرين، وقد حكىٰ الهيثمي في"الزواجر"٢/ ٣٣ الإجماع علىٰ تحريم ذلك، ونص علىٰ التحريم القاسمي في "محاسن التأويل" ١٥/ ٥٤٥٨.

ما حكم السخرية بالصالحين بلفظ الجمع؟ وهل هذا التقسيم صحيح

ـ مسألة: حكم السخرية بالعلماء وطلبة العلم، هل هو ناقض؟ فيه تفصيل:

١ - إن سخر بهم لدينهم؛ فهذا ناقضٌ، لأنه قصد الدين.

٢ - إن سخر بهم لعداوةٍ معهم، مثل من يسخر برجال الهيئات؛ فهذا كفر دون كفر.

٣- أن يكون ديدنه السخرية بكل متدين، ويكثر من السخرية بالمتدينين؛ فهذا ناقضٌ، ويدل عليه: حديث غزوة تبوك، فإنهم قالوا: (ما رأينا مثل قرائنا...) بلفظ الجمع؛ وأيضـًا: السخرية بلفظ الجمع كالسخرية بالأشخاص من حيث الكمية.

الحمد لله، الاستهزاء، أو السخرية بالعلماء، أو الصالحين بأفراد، أو

(١) "غذاء الألباب"١/ ١٣١.

(٢) "لسان العرب"٤/ ٣٥٣.

جماعات منهم ينظر فيه إلىٰ القرائن، والبواعث علىٰ السخرية، والاستهزاء فإن كان لتدينهم بالإسلام، وعنايتهم بالكتاب، والسنة فلا ريب أن ذلك كفر وردة عن الإسلام؛ لأنه استهزاء بآيات الله، وبدينه الذي بعث به رسوله، وهذا لا يكاد يصدر عن مؤمن يؤمن بالله ورسوله، وإنما يصدر عن من هو منافق كما قال سبحانه وتعالىٰ ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [التوبة:٦٤] ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [التوبة:٦٥]، وإن كان الباعث علىٰ السخرية بالعلماء والصالحين أمور أخرىٰ، مثل: اتهامهم في نياتهم، وأنهم غير صادقين في تدينهم، بل يتظاهرون بالصلاح، وأنهم طلاب دنيا، فهذا الاتهام حرام، وهو من الظن الذي أمر الله باجتنابه، وكذلك السخرية بالمؤمنين حرام، فكيف بالعلماء والصالحين، وقد نهىٰ الله عن ذلك فقال: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ـ إلىٰ قوله تعالىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ﴾ [الحجرات:١٢]، وقال ﷺ: "الظن أكذب الحديث".، وقد يكون الباعث علىٰ سوء الظن، والسخرية أمور شخصية مثل: النزاعات التي تكون بين الناس علىٰ بعض أمور الدنيا، وينبغي أن يعلم أن الذين قال الله فيهم ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ ﴾ [التوبة:٦٦] كان استهزاؤهم بالله، وآياته، ورسوله، فمن استهزاء بالرسول ﷺ علىٰ أي وجه من الوجوه فإنه كافر مرتد عن الإسلام

إن كان مسلما، فشرط الإيمان بالرسول احترامه ﷺ، نسأل الله أن يجعلنا من الذين قال فيهم: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾ [الأعراف:١٥٧]، والله أعلم.[(١)]

هل تقليد القراء يُعتبر من السخرية؟

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جواب سؤال: إذا أطلقت السخرية علىٰ الفعل، هل يدخل ذلك تحت النهي؟ وإذا كان الفعل مكتسب كأن قلد شخصاً في طريقة الخطأ، هل يدخل تحت النهي أيضاً؟

الجواب: النهي عام: ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ [الحجرات:١١] سواء كان بالقول أو بالفعل، ولكن لا أدري ما معنىٰ قولك: مكتسب أو غير مكتسب؟ فإذا كان قصده السخرية لا يجوز، لكن أحياناً يعجبه كلام شخص من الناس فيتكلم كما يتكلم، فمثلاً: أعجبه قراءة قارئ من الأئمة، فصار يقلد قراءته فهذا ليس بسخرية، بل هذا إعجاب به، والساخر إذا سخر بنطق من قلده كأن ينطق الخطأ صار ساخراً به فيدخل في النهي بلا شك، أما إذا أراد إصلاح ما عنده من الخطأ يعني مثلاً حرف الراء يقول: اللحمان -يقصد الرحمن- يأتي آخر يقول: اللحمان، لا يستفيد ذاك من التغيير شيئًا، المهم أن السخرية مطلقة بالقول أو

(١) كتاب" لقاءات ملتقىٰ أهل الحديث بالعلماء"٢/ ٣٦.

الفعل هذا حرام لا يجوز.(١)

❊ حكم من يسخر من اللحية؟

سئل ابن عثيمين عنها: فأجاب قائلًا: من سخر بصاحب اللحية ورافع ثوبه عن كعبيه فإن قصد السخرية بعمله وهو يعلم أنه من شريعة الله تعالىٰ، فقد سخر من شريعة الله تعالىٰ، وإن قصد السخرية بالشخص نفسه لدوافع شخصية فإنه لا يكفر بذلك.(٢)

❊ حكم من يقرأ الآيات وينزلها على صديقه مازحًا؟

يقول السائل: ما حكم من يستعمل ألفاظًا غير لائقة في القرآن أو عبارات أو جملاً وهذا من باب المزاح، كذكر كلمة من القرآن وربطها بكلمةٍ عامية، فما رأيكم بما يفعل في ذلك مأجورين؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: الكفر لا فرق فيه بين المازح والجاد، فمتىٰ أتىٰ الإنسان بما يوجب الكفر فهو كافر والعياذ بالله، ومن أعظم ذلك أن يأتي بشيء يفيد السخرية بالقرآن أو الاستهزاء بالقرآن، فإن هذا كفر نسأل الله العافية، كما قال الله عز وجل في المنافقين الذين كانوا يقولون: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونًا ولا أكذب ألسنًا ولا أجبن عند اللقاء، يعنون بذلك رسول الله صلىٰ الله

---

(١) "لقاء الباب المفتوح"١٧/ ١١٨.

(٢) "مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين"٢/ ١٥٩.

عليه وعلىٰ آله وسلم وأصحابه. فأنزل الله فيهم: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۡۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤ وَلَئِن سَأَلۡتَهُمۡ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥﴾ [التوبة:٦٤-٦٥].

فمن أتىٰ بكلمة الكفر فهو كافر، سواءٌ أتىٰ بها جاداً أم لاعبًا مازحًا أم غير مازح، فعلىٰ من فعل ذلك أن يتوب لله عز وجل وأن يعتبر نفسه داخلاً في دين الإسلام بعد أن خرج منه، ويجب علىٰ المؤمن أن يعظم كلام الله عز وجل، وأن يعظم كلام رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، كما عليه أن يعظم الله سبحانه وتعالىٰ وأن يعظم رسول الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم بما يليق به ولا يكون غلواً فيه. وأما السخرية بالقرآن وربط الكلمات القرآنية وهي كلام رب العالمين بكلامٍ عامي مسخرة فهذا أمرٌ خطيرٌ جدّاً نسأل الله العافية، قد يخرج به الإنسان من الإسلام وهو لا يشعر.(١)

حكم السخرية من الآخرين للمرح والضحك؟

بارك الله فيكم هذا شاب يسأل ويقول بأنه كثير المزاح مع الأصدقاء والإخوان في الرحلات وفي المناسبات وهو يعرف بهذا العمل هل يلحقه إثم بهذا؟

فأجاب رَحِمَهُ اللهُ تعالىٰ: إذا كان هذا المزاح حقًا بحيث لا يتضمن كذبًا ولا

(١) "فتاوىٰ نور علىٰ الدرب" للعثيمين٤/ ٢.

يتضمن سخرية بأحد وإنما هو مرح من أجل شرح صدور إخوانه وأصحابه فإنه لا بأس به بل قد يكون مأجوراً عليه بالنية الطيبة إذا قصد بذلك دفع السآمة عن إخوانه وإدخال السرور عليهم أما إذا تضمن كذبـًا أو سخرية بأحد فإنه لا يجوز لأن النبي ﷺ قال: «ويل لمن حدث وكذب ليضحك به القوم ويل له ثم ويل له» وأما السخرية فهي حرام أيضـًا لأن «المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وماله وعرضه» والسخرية به من أكبر خدش عرض أخيه.(١)

۞ السخرية ممن يطبق الشريعة وتسميتهم بالوهابية:

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: إما أن يسخر به لكونه طبق الأمر المشروع، ولهذا علىٰ خطر عظيم؛ لأنه إذا سخر به من أجل اتباع المشروع كان ساخراً بالمشروع نفسه، والسخرية بشرع الله كفر – والعياذ بالله – كما قال الله تعالىٰ:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [التوبة:٦٦].

وأما إن كان يسخر به لسوء فهم عنده، ولعدم معرفة بالشرع عنده، فإنه لا يكفر، لكنه يكون قد أتىٰ معصية حيث احتقر أخاه المسلم، وقد قال النبي ﷺ: "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" ، فتبين أن السخرية بمن يقوم بشرائع الله تنقسم إلىٰ هذين القسمين :إن سخر به من أجل تطبيق ما يراه شرعـًا

---

(١) " فتاوىٰ نور علىٰ الدرب"٢٤/ ٢.

فهو كافر؛ لأن سخريته به سخرية بالشرع، وإن سخر به معتقداً أنه ناقص الفهم، قليل العلم، حيث خالف رأي أئمة عنده، فهذا لا يكفر، لكنه يكون فاعلاً لمعصية عظيمة، عليه أن يتوب إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ، ولا ينبغي أن يكون مثل هذا الخلاف سبباً للعداوة والبغضاء بين المسلمين، فإن هذه الأمور من الأمور الاجتهادية التي إذا بذل الإنسان فيها الجهد بقصد الوصول للحق من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ ثم أخطأ فيها فإن له أجراً واحداً، وإن أصاب فإن له أجرين، كما ثبت ذلك في صحيح البخاري وغيره عن رسول الله ﷺ قال: "إذا اجتهد الحاكم فحكم فأخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران"، وأما تلقيب من فعل هذه السنن وهذه الأمور المشروعة بأنه مبتدع، وأنه وهابي، وأنه خارج عن السنة والجماعة، فإن هذا منكر وذلك لأن الذي يفعل الأمور المشروعة التي ثبتت بها السنة أقرب إلىٰ الحق ممن يعتمد علىٰ تقليد فلان وفلان ممن هم عرضة للخطأ، ومن العجب أن هؤلاء المقلدين يضللون من خالفهم في تقليدهم وهم يتناقضون، فإننا إذا أبحنا لمن يقلد واحداً من الأئمة الأربعة أن يقدح بمن يقلد الإمام الثاني، فإننا نبيح لمن يقلد الإمام أن يقدح بمن يقلدون الإمام الأول، وهكذا يعرف المسلمون كلهم لا يعرفون إلا بقدح بعضهم لبعض، ومثل هذا لا تأتي به الشريعة أبداً، وليس أبو حنيفة بأولىٰ بالصواب من مالك، ولا مالك بأولىٰ بالصواب من أبي حنيفة، ولا هذان بأولىٰ بالصواب من الإمام أحمد، ولا الإمام أحمد بأولىٰ بالصواب منهما ولا هؤلاء بأولىٰ

بالصواب من الشافعي، ولا الشافعي أولىٰ بالصواب منهم، بل كلهم مجتهدون، والمصيب منهم من وافق الشريعة، وأما قول السائل: بأن من فعل هذا كان وهابيًا، فإني أبلغ السامعين جميعًا بأن الوهابية ليست مذهبًا مستقلاً أو مذهبًا خارجًا عن المذاهب الإسلامية، بل إنها حركة لتجديد ما اندثر من الحق، وخفي علىٰ كثير من الناس، فهم في عقيدتهم متبعون للسلف، وفي مذهبهم في الفروع مقلدون للإمام أحمد – رَحِمَهُ اللَّهُ – ولا يعني ذلك أنه إذا تبين الصواب لا يدعون من قلدوه، بل هم إذا تبين لهم الصواب، ذهبوا إليه وإن كان مخالفًا لمن قلدوه؛ لأنهم يؤمنون بأن المقلد عرضة للخطأ، ولكن النصوص الشرعية ليس فيها خطأ، وبهذا تبين أن هذه الدعوىٰ التي يقصد بها التشويه لا حقيقة لها، وأن الوهابية ما هي إلا حركة لتجديد ما اندثر من علم السلف في شريعة الله سبحانه وتعالىٰ، وهي لا تخلو أن تكون دعوة سلفية محضة كما يعرف ذلك من تتبعها بعلم وإنصاف.[(١)]

احتقار الدعوة:

قال الشيخ سعيد بن وهف القحطاني: مع أبي جهل: قرر المشركون ألا يألو جهدًا في محاربة الإسلام وإيذاء النبي ﷺ ومن دخل معه في الإسلام، والتعرض لهم بألوان النكال والإيلام، ومنذ جهر النبي ﷺ بدعوته إلىٰ الله، وبيَّن أباطيل الجاهلية، انفجرت مكة بمشاعر الغضب، وظلت عشرة أعوام تعدُّ

(١) "مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين"١٣/ ١٤٣.

المسلمين عصاة ثائرين فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباحت في الحرم الآمن دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وصاحبت هذه النار المشتعلة حرب من السخرية والتحقير، والاستهزاء والتكذيب، وتشويه تعاليم الإسلام، وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة، ومعارضة القرآن، والقول بأنه أساطير الأولين، ومحاولة المشركين للنبي ﷺ أن يعبد آلهتهم عامًا، ويعبدون الله عامًا! إلىٰ غير ذلك من مفاوضاتهم المضحكة!، واتهموا النبي ﷺ بالجنون، والسحر، والكذب والكهانة، والنبي ﷺ ثابت صابر محتسب يرجو من الله النصر لدينه، وإظهاره، لقد نال المشركون من النبي ﷺ ما لم ينالوه من كثير من المؤمنين، فهذا أبو جهل يعتدي علىٰ النبي ﷺ ليعفر وجهه في التراب، ولكن الله حماه منه، ورد كيده في نحره، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «قال أبو جهل: هل يُعَفِّر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: قيل: نعم. فقال: واللات والعزىٰ، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن علىٰ رقبته، أو لأُعَفِّرَنَّ وجهه في التراب، قال: فأتىٰ رسولَ الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ علىٰ رقبته. قال: فما فجئهم منه إلا وهو ينكص علىٰ عقبيه ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار، وهولًا، وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا . قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦﴾ [العلق:٦] إلىٰ آخر السورة.»، وقد عصم الله النبي ﷺ من هذا الطاغية ومن غيره، وصبر علىٰ هذا الأذىٰ العظيم ابتغاء وجه الله – تعالىٰ –، فضحَّىٰ بنفسه وماله

ووقته في سبيل الله تعالىٰ.[(١)]

❁ حكم من يسخر من اللحية؟

سئل ابن عثيمين عنها: فأجاب قائلًا: من سخر بصاحب اللحية ورافع ثوبه عن كعبيه فإن قصد السخرية بعمله وهو يعلم أنه من شريعة الله تعالىٰ فقد سخر من شريعة الله وإن قصد السخرية بالشخص نفسه لدوافع شخصية فإنه لا يكفر بذلك.[(٢)]

وسئلت اللجنة عن اللحية والسخرية منها فأجابت: قد دلت سنة رسول الله ﷺ الصحيحة علىٰ وجوب إعفاء اللحىٰ وإرخائها وتوفيرها، وعلىٰ تحريم حلقها وقصها، كما في الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النبي ﷺ قال «قصوا الشوارب وأعفوا اللحىٰ، خالفوا المشركين» وفي (صحيح مسلم)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي الله ﷺ قال: «جزوا الشوارب وأرخوا اللحىٰ، خالفوا المجوس» وهذان الحديثان وما جاء في معناهما من الأحاديث كلها تدل علىٰ وجوب إعفاء اللحىٰ، وتوفيرها، وتحريم حلقها وقصها، كما ذكرنا، ومن زعم أن إعفاءها سنة يثاب فاعلها ولا يستحق العقاب تاركها فقد غلط وخالف الأحاديث الصحيحة؛ لأن الأصل في الأوامر الوجوب، وفي النهي التحريم، ولا يجوز لأحد أن يخالف ظاهر الأحاديث الصحيحة إلا بحجة تدل

---

(١) "رحمة للعالمين" ص٢١٢.

(٢) "مجموع فتاوىٰ ورسائل العثيمين"٢/ ١٥٩.

علىٰ صرفها عن ظاهرها، وليس هناك حجة تصرف هذه الأحاديث عن ظاهرها.

وأما ما رواه الترمذي، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ «أنه كان يأخذ من لحيته من طولها وعرضها » فهو حديث باطل لا صحة له عن رسول الله ﷺ؛ لأن في إسناده راويا متهما بالكذب.

أما من استهزأ بها وشبهها بالعانة فهذا قد أتىٰ منكرا عظيما يوجب ردته عن الإسلام؛ لأن السخرية بشيء مما دل عليه كتاب الله أو سنة رسوله محمد ﷺ تعتبر كفرا وردة عن الإسلام؛ لقول الله عز وجل: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة:٦٥]، ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦].

ونسأل الله لنا ولكم ولجميع المسلمين الهداية والتوفيق والعافية من مضلات الفتن.

وبالله التوفيق. وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو ... عضو ... نائب رئيس اللجنة ... الرئيس

عبد الله بن قعود ... عبد الله بن غديان ... عبد الرزاق عفيفي ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

وقال الشيخ العلامة حمود التويجري: ومن هذا الباب السخرية من إعفاء اللحىٰ لأن إعفائها مما جاءت به الشريعة المطهرة فمن سخر من إعفائها فإنما



هو هو في الحقيقة ساخر من سنة من سنن النبي ﷺ فما يؤمنه أن يزل بهذه السخرية في نار جهنم أبعد مما بين المشرق والمغرب وأن يكتب الله عليه بها سخطه إلىٰ يوم ألقاه.

قصص في احتقار الناس

- عن وهيب بن الورد ، قال: بلغنا " أن عيسىٰ، عليه السلام مر هو ورجل من بني إسرائيل من حواريه بلص في قلعة له فلما رآهما اللص ألقىٰ الله في قلبه التوبة ، قال: فقال لنفسه: هذا عيسىٰ ابن مريم عليه السلام روح الله وكلمته وهذا فلان حواريه ومن أنت يا شقي؟ لص بني إسرائيل ، قطعت الطريق ، وأخذت الأموال ، وسفكت الدماء ، ثم هبط إليهما تائبا نادما علىٰ ما كان منه فلما لحقهما ، قال لنفسه: تريد أن تمشي معهما لست لذلك بأهل ، امش خلفهما كما يمشي الخطاء المذنب مثلك ، قال: فالتفت إليه الحواري فعرفه فقال في نفسه: انظر هذا الخبيث الشقي ومشيه ، وراءنا قال: فاطلع الله علىٰ ما في قلوبهما من ندامته وتوبته ، ومن ازدراء الحواري إياه وتفضيله نفسه عليه ، قال: فأوحىٰ الله عز وجل إلىٰ عيسىٰ ابن مريم عليه السلام: أن مر الحواري ولص بني إسرائيل أن يأتنفا العمل جميعا ، أما اللص فقد غفرت له ما مضىٰ لندامته وتوبته ، وأما الحواري فقد حبط عمله لعجبه بنفسه ، وازدرائه هذا التائب .[(١)]

- **عن سَعِيد بْن مسلم بْن قتيبة بْن مسلم الباهلي قال:** خرجت حاجا فمللت المحمل فنزلت أساير القطرات فقال أتانا أعرابي فقال لي يا فتىٰ لمن الجمال

---

(١) الحلية" ٨/ ١٤٦

بما عليها قلت لرجل من باهلة قَالَ يا لله أن يعطىٰ الله باهليا كل مَا أرىٰ قَالَ فأعجبني ازدراؤه بهم ومعي صرة فيها مائة دينار فرميت بها إليه فقال جزاك الله خيرا وافقت مني حاجة فقلت يا أعرابي أيسرك أن تكون الجمال بما عليها لك وأنت من باهلة قَالَ لا قلت أفيسرك أن تكون من أهل الجنة وأنت باهلي قَالَ بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أني من باهلة فقلت يا أعرابي الجمال بما عليها لي وأنا من باهلة قَالَ فرمىٰ بالصرة إلي فقلت سبحان الله ذكرت أنها وافقت منك حاجة قَالَ مَا يسرني أن القىٰ الله ولباهلي عندي يد فحدثت بها المأمون فجعل يتعجب ويقول ويحك ياسعيد مَا كان أصبرك عَلَيْهِ.(١)

قلت: وهكذا ما يحصل من أفراد بعض الشعوب العربية من ازدراء واحتقار بعضهم البعض إما تفاخرًا بالتاريخ أو بالمال أو بالقوة وغير ذلك، ناهيك عن ازدراء بعض الشعوب فيما بينهم داخليًا كل محافظة أو منطقة يتفاخرون علىٰ الأخرىٰ وهكذا يسخر بعضهم علىٰ بعض بل وصل الأمر إلىٰ ازدراء بعض الأقارب ببعضهم وهكذا كل قبيلة تفخر علىٰ الأخرىٰ وتهزأ بها فكل هذا وأمثاله من أعمال الجاهلية التي يترفع عن الوقوع فيها العقلاء الأفاضل.

- **قال الشيخ محمد عليش** رَحِمَهُ اللَّهُ: وَنُقِلَ فِي فَتْحِ الْعَلِيِّ لِمَالِكٍ: أَنَّ رَجُلاً كَانَ يَزْدَرِي الصَّلاَةَ، وَرُبَّمَا ازْدَرَىٰ الْمُصَلِّينَ وَشَهِدَ عَلَيْهِ مَلأٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، مِنْهُمْ مَنْ زَكَّى وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُزَكِّ، فَمَنْ حَمَلَهُ عَلَىٰ الازْدِرَاءِ بِالْمُصَلِّينَ لِقِلَّةِ اعْتِقَادِهِ

---

(١) " روضة العقلاء ونزهة الفضلاء" ص٢٤٩-٢٥-.

فِيهِمْ فَهُوَ مِنْ سِبَابِ الْمُسْلِمِ، فَيَلْزَمُهُ الأَدَبُ عَلَىٰ قَدْرِ اجْتِهَادِ الْحَاكِمِ. وَمَنْ يَحْمِلُهُ عَلَىٰ ازْدِرَاءِ الْعِبَادَةِ فَالأَصْوَبُ أَنَّهُ رِدَّةٌ، لإِظْهَارِهِ إِيَّاهُ وَشُهْرَتِهِ بِهِ، لاَ زَنْدَقَةٌ، وَيَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الْمُرْتَدِّ.[١]

-روي أن عمر بن عبدالعزيز أتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف: أقوم إلىٰ المصباح فأصلحه؟ فقال: ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال: أفأنبه الغلام؟ فقال: هي أول نومه نامها فقام: وملأ المصباح زيتًا فقال الضيف: قمت أنت بنفسك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء، وخير الناس من كان عند الله متواضعًا.[٢]

- قال صاحب مقالة "تأملات تاريخية": هرب الخليفة العباسي "القائم بأمر الله" بعدما سقطت بغداد في أيدي الفاطميين، واعتقله أحد البود، ولكن الملك السلجوقي" طغرلبك" استنقذه ورده إلىٰ عاصمة مكله، فكافأه الخليفة علىٰ حسن صنيعه بأن زوجه من أخته، ولقبه ملك المشرق والمغرب، وأطلق يده في إدارة الدولة!! ومات الملك السلجوقي فورثه ابن أخيه "ألب" ومات الخليفة العباسي وورثه عباسي لقب نفسه بـ"المقتدىٰ" وكان شابًا في التاسعة عشرة من عمره، ولم يكن الشاب الشريف النسب، قديرًا علىٰ الإدارة فتولاها

---

(١) "فتح العلي المالك في الفتوىٰ علىٰ مذهب الإمام مالك "٢/ ٣٦٠.

(٢) كتاب "موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين"ص٢٤٧.

عنه سلجوقي آخر يدعىٰ "ملكشاه" وهو ابن "إلب أرسلان" الذي توفي بعد حياة عامرة بالجهاد، واستبد "ملكشاه" بالسلطة وازدرىٰ الخليفة وبلغ من احتقاره له أن أمره بترك بغداد وتضرع الخليفة إليه أن يمهله شهرًا فأبىٰ بعد إلحاح إلا أن يمهله عشرة أيام وحسب!! وشاء الله أن يموت "ملكشاه" قبل انقضاء الأجل المضروب وتكتمت زوجته نبأ موته وذهبت إلىٰ الخليفة المهدد طالبة أن يولي إبنه مكانه، وكان الولد لا يبلغ من العمر خمس سنين، ولكن الخليفة المقتدىٰ ولاه ومنحه لقب" ناصر الدين والدنيا"!! أرأيت هذا الهزل كله؟! إنها مساخر بحار المرء كيف تقع باسم الإسلام في عاصمة الإسلام!! ومتىٰ يحدث هذا السخف في دفة الحكم؟ يحدث وملوك أوروبا وبابا الفاتيكان ورجال الكنيسة يصرخون بضرورة الثأر من المسلمين، ويجمعون الأموال ويجهزون الجيوش لتشكيل الحملات الصليبية؛ لكن هذه الصيحات لا يبلغ صداها رجال السياسة العليا في بلادنا، إنهم ينادون من مكان بعيد إنهم غرقىٰ في شهواتهم الشخصية ومطامعهم العرقية، لقد فهموا من الإسلام شيئًا واحدًا أن الوحي الأعلىٰ نزل ليخص أفراد أسرتهم بمكانة ممتازة، فبعد ستة قرون أو أقل أو أكثر من شروط الإسلام يرىٰ شاب مسكين من ولد العباس أنه جدير بقيادة العالم الإسلامي!! أو يرىٰ نظير له من بني أمية أن المسلمين علىٰ شاطئ الأطلسي يجب أن يدينوا له بالطاعة!! والغريب أن رسول الله ﷺ صاحب الرسالة قال لابنته فاطمة: يا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني

غنك من الله شيئًا.[1] ثم جاء بعد ذلك من ينتسب إلىٰ فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالحق أو بالباطل ليتذرع بهذا النسب إلىٰ قيادة المسلمين!! المصدر "البداية والنهاية" لابن كثير.

- يحكىٰ أن "كسرىٰ" زعيم الفرس كان في مجلسه، فقال لحاشيته من وزراء ووجهاءه: يجب أن نصاهر العرب، فانتفض كل من حوله، وقالوا: كيف لنا نحن الفرس أن نصاهر الحفاة العراة رعاة الإبل؟!. كان الفرس لديهم نظرة غرور، وينظرون إلىٰ العرب نظرة فوقية، سكت عنهم" كسرىٰ" ولم يرد جدالهم، كان "كسرىٰ" ملكًا وكان فيلسوفًا وطبيبًا، وكان يلف بـ"(أفلاطون الثاني)، ذات يوم بينما كان في مجلسه، جاء بصندوق وأخرج منه عقدًا لم يرىٰ مثله من قبل، مرصع بالياقوت والزمرد وكل أنواع الحلي، يقال قيمته تعادل عشرون ألف دينار ذهبي، تعلقت أبصار كل من بالمجلس بالعقد الثمين، فقال لهم "كسرىٰ": هذا العقد لمن ينزع ثيابه كما ولدته أمه أولًا، ما هي إلا برهة من الزمن حتىٰ صار كل من بالمجلس عراة كما ولدتهم أمهاتهم من وزراء ومستشارين وعلية الفرس، وصاروا يتجادلون في من له الحق في العقد الثمين، وكل منهم يقول: أنا من نزعت ثيابي وتعريت أولًا..!! خلص الجدال، وتحاكموا فيما بينهم علىٰ شخص لينال العقد الثمين، وأعطاه "كسرىٰ" ذلك العقد، بعد فترة من الزمن ليست بالطويلة قال "كسرىٰ" لوزيره: سمعت عن

(١) صحيح البخاري ٤٧٧١

حداد عربيًا في المدينة، أتونب به. جاء الحداد العربي وهو متوجس يتملكه القلق، ولما دخل علىٰ "كسرىٰ" وكان مجلسه ممتلئًا كالعادة، قال له كسرىٰ: لا تخف وإنما جلبتك لأمر ينفعك، وأحضر" كسرىٰ" نفس الصندوق وأخرج منه عقدًا لا يقل جمالًا عن سابقه، فظن من في المجلس أن "كسرىٰ" سيعيد الكرة، فوضع كل من في مجلس "كسرىٰ" علىٰ ثيابه يتهيأ لنزعها طمعًا في العقد الثمين، لكن "كسرىٰ" إلتفت للحداد العربي وقال: هذا العقد ثمنه عشرون ألف دينار هو لك لكن بشرط أن تنزع عنك ثيابك كما ولدتك أمك، فرد العربي وقال: والله لو أعطيتني فار كلها وجعلتني ملكًا عليها علىٰ أن أنزع عمامتي ما نزعتها. استغرب كل من في المجلس من رد الحداد العربي، والتفت "كسرىٰ" إلىٰ وزرائه ونظر إليهم نظرة إحتقار وازدراء وقال لهم: نحن الفرس نملك الملك والشجاعة، لكن ينقصنا الشرف الذي أردت مصاهرة العرب من أجله.[١]

۞ توهم البعض في أن الناس يحتقروه:

السؤال: أني أعاني من مشكلة احتقار الآخرين لشخصي مع العلم أني لست صاحب مزاح؟ الجواب: أخي الكريم أنت تشكو من احتقار الناس لك حتىٰ وأنت كما ذكرت لست صاحب مزاح. والحقيقة أنك أجملت جداً في شكواك ولم تفصِّل، حيث لم تفصح عن ما هية هذا الاحتقار من الآخرين ولم تذكر

---

(١) المرجع "العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي.



صوراً منه كنت قد لاقيته منهم، ولعلي في إجابتي لك علىٰ هذا السؤال المجمل أن أذكر لك أن حالك لا يخلو من حالين هما: إما أن هذا الاحتقار كما تسميه أنت إنما هو وهم أو توهم إن صح التعبير علق في نفسيتك وهو ليس له وجود علىٰ أرض معاملاتك مع الآخرين ولكنه شعور نفسي تجده وتتوهمه في مخيلتك وتستشعره حين تتعامل مع بعض الناس مما يُوَلِّد لديك شعور بالضيق وربما بالكره الشديد تجاه من بدر منه ذلك التصرف الذي ترىٰ أنت أن فيه إهانة لك واحتقار، الحال الثانية أنه بالفعل هناك من يحتقرك أو شيئاً من تصرفاتك ومعاملاتك. هذا احتمال أيضا ً وارد، فهذه الإهانات واحتقار الناس أو الآخرين ممن تتعامل معهم أنت تجلب لك الشقاء والمعاناة وهذا بلا شك أمر مقدر ومعاناتك إنما هي رد فعل طبيعي إزاء مثل هذه التصرفات، إذاً هذا الاحتقار من الآخرين لك ناشئ كما قلت لك إما عن وهم تشعر به أنت وإن لم يكن صحيحاً، أو هو فعلاً واقع تراه وتعايشه أينما ذهبت وتعاملت مع غيرك من الناس، وفي كلا الحالتين يتمركز محور العلاج فيك أنت قبل كل شيء. فإن صدق الاحتمال الأول وكان ما تشعر به من احتقار الغير لك إنما هو وهم فأنت في هذه الحالة تعيش حالة من الحساسية الزائدة تجاه تصرفات الآخرين نحوك بحيث يكون التفسير السلبي والهجومي هو أول ما يتبادر إلىٰ ذهنك حينما تريد وتحاول أن ترىٰ سبباً لتصرف الناس معك، أنت لا تحاول إمرار تلك التصرفات علىٰ ما هي وكما هي، لا، وإنما تحاول جاهداً أن تجد تفسيراً لكل

تصرف لا ليس ذلك فحسب بل تبحث عن التفسير الأسوأ وتجعله دافعًا وراء ذلك التصرف من الآخرين تجاهك، أنت في هذه الحالة توجب أن لكل تصرف دافع سلبي ولكل سلوك وحركة - قد تكون لا إرادية - سلوكًا خفيًا يكمن خلف هذه الحركة وذلك التصرف من هؤلاء الآخرين تجاهك. وهذه هي الحساسية بعينها وهي مدمرة لك ولصداقاتك جميعها إن لم تتنبه لها وتعالجها في أسرع وقت.

ولم أرَ قنبلة تفجر العلاقات الاجتماعية والصداقات الفردية أو الجماعية مثل الحساسية الزائدة تجاه التصرفات البادرة من الآخرين ومحاولة تفسيرها بعيداً جداً عن الإطار التي خرجت من خلاله. هي قنبلة تفسد الصداقات لأنها تفضي للشك وإذا حضرت الشكوك حضر معها أصناف التفاسير والتأويل لتصرفات الآخرين ومع الأسف لا يوجد بينها مكان للمحمل الحسن، أما إن لم يكن مصدر مثل هذه التصرفات الموحية بالاحتقار ناشئ عن وهم وإنما هو حقيقة واقعة وملموسة فعلاً تصدر من الآخرين فإن السؤال المتبادر للذهن والذي يجب أن توجهه إلىٰ نفسك أنت هو لماذا هذا العمل تجاهي وليس غيرك من الناس. إنني في هذه الحالة أتسائل أليس فعلاً في بعض تصرفاتك وسلوكياتك ما يوجب احتقار الآخرين لك هل سألت نفسك وكاشفتها في هذا السؤال. إن بدر سلوك مشين من أحد الناس تجاهك مرة واحدة فربما يوجد لها سبب معين يكمن خلف هذا التصرف، ولكن إن كان هذا ديدن الناس معك

باحتقار ما تفعله وتعمله من مختلف السلوكيات فإن أصابع الاتهام هنا تتجه نحوك أنت إذا لا يمكن أن يجتمع الناس علىٰ فعل شيء يكونون فيه من الظالمين لك. أليس يمكن أن يكون الظلم منك أنت أخي ألم تحاول جاهداً أن تجعل نفسك ملاحظًا دقيقًا علىٰ سلوكياتك وتحاول الحكم بنفسك فربما وجدت الإجابة الشافية، أما إن عجزت من اكتشاف اية أخطأ عندك فلا بأس بالمكاشفة مع من يصدر منه ما تتصور أنت أنه احتقار لك، هلاّ صارحته وكاشفته وسألته عن دافع سلوكه معك فلربما بصّرك بعيبك وأرشدك إلىٰ مكمن الخطأ الذي عجزت عن اكتشافه بنفسك وإن كان في تقديري أنه سوف يتبين لك أنه لم يكن سِوَىٰ شعور وهمي لم يكن له أي أساس من الصحة، وفي النهاية كما رأيت أخي أرىٰ أنك أنت محور المشكلة التي تعاني منها فزن الأمور بعين العقل وحاول اكتشاف مكمن الخلل ولا بأس باستشارة صديق تثق منه وتستطيع بث ما في نفسك عليه علّه يعينك في الخروج من مأزقك هذا، وإن استفحلت وعظمت أو كبر هذه المشكلة فالأجدر باستشارة أخصائي نفسي أو اجتماعي فهو المعين بعد الله في معالجة مثل هذه المشاكل التي قد نواجهها في حياتنا اليومية، ولك مني الدعاء بالتوفيق والسداد.[١]

قلت: إن من الناس من يظن السوء بأخيه المسلم ولا يلتمس له الأعذار، المثال علىٰ ذلك إذا مر صديقك من جانب ولم يلق السلام عليك...فلا تظن به

(١) "فتاوىٰ واستشارات الإسلام اليوم"٢٠/ ٣٩٤.

شرًا وتقول: إنه يحتقرني وإنه متكبر ...الخ التمس له الأعذار لم يشعر بك وقد يدير وجهه إليك ولكنه لم ينتبه لكثرة تفكيره أو لكثرة همومه وغمومه فالتمس له العذر.

۞ من مضار (السخرية)

١- في السّخرية مخالفة صريحة لأمر الله عز وجل ثمّ هي جالبة لسخطه مستوجبة لعذابه.

٢- السّخرية تفكّك عرى المجتمع وتجعل المستسخر به ناقما على السّاخر متربّصا به يحاول الانتقام لنفسه.

٣- السّخرية نذير شؤم للسّاخرين، فقد كان الغرق عاقبة قوم نوح الّذين كفروا بالله وسخروا من نوح.

٤- السّخرية تفقد السّاخر الوقار وتسقط عنه المروءة.

٥- السّاخر يظلم نفسه بتحقير من وقّره الله عز وجل واستصغار من عظّمه الله.

٦- السّخرية انتهاك صريح لحقوق الإنسان عامة، ومخلّة بمبدأ تكريم الإنسان على وجه الخصوص.

٧- السّخرية تميت القلب وتورثه الغفلة حتّى إذا كان يوم القيامة ندم السّاخر على ما قدّمت يداه، ولات ساعة مندم ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ۝٥٦﴾ [الزمر:٥٦].

٨- السّخرية من سمات الكفّار والمنافقين، وقد نهينا عن التّشبّه بهم.

٩- في ارتكاب السّخرية اقتراف أمر محرّم نهىٰ عنه الشّرع الحنيف (انظر حكم السّخرية)

١٠- السّاخرون من النّاس في الدّنيا، يسخر منهم الله عز وجل، وأنبياؤه الكرام (انظر: الآيات ٣، ٤).

١١-السّخرية تنسي الإنسان ذكر ربّه، وبذلك يخسر السّاخر نفسه ويلقي بها في النّار (انظر: الآية ٦) .

١٢- السّخرية داء من أدواء الجاهليّة يجب تجنّبه والبعد عنه.

١٣- اللّامز لأخيه المؤمن السّاخر منه، إنّما يلمز نفسه ويسخر منها لأنّ المؤمنين كرجل واحد.

١٤- السّخرية وما في معناها من الاستهزاء بالضّعفاء والمساكين والتّحقير لهم والإزراء عليهم، كلّ ذلك مبعد من الله عز وجل (انظر الأثر: رقم ١٣) .

١٥- علىٰ السّاخر أن يتوقّع عقوبته في الدّار العاجلة أيضا بأن يحدث له مثل ما حدث للمسخور منه.[١]

---

(١) "نضرة النعيم"١٠/ ٤٦١٤.

الخاتمة

أختم هذه الرسالة بشكر الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ ما منَّ به عليّ من نعم كثيرة، وأخص منها نعمة السنة والمنهج السلفي المتين المأخوذ عن مشائخنا الكرام اقتداءً بسلفنا الكبار بدأ بالنبي ﷺ وبالصحابة الأخيار رضي الله عنهم فهم خير سلف، كما أحمد الله علىٰ نعمة طلب العلم الشرعي؛ فهي من أجل النعم علينا في هذا العصر المليء بالشبهات والشهوات والفتن المدلهمة الكثيرة، وأقول لإخواني طلاب العلم احمدوا الله علىٰ النعمة التي أنتم فيها نخشىٰ والله إن غفلنا عن حمد الله مع ما مع بعضنا من ذنوب أن يعاقبنا الله بسلب هذا الخير عنا، كما لا ننسىٰ أن نشكر الله علىٰ صفاء المنهج فغيرنا يتخبطون في الشرك والخرافات، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، وأوصي نفسي وإياكم بالقراءة في كتب المتقدمين الكبار وقراءة كتب الفتن، وقراءة الكتب المنهجية وأنصح بقراءة كتابٍ: "قراع الأسنة في نفي التطرف والغلو عن أهل السنة" لشيخنا عبد العزيز البرعي، والقراءة التي تتكلم عن فضل العلماء وفضل العل ونقاء المنهج وغيرها وأحمد الله كذلك علىٰ نعمة الأخوة في الله؛ ففي كل مكان وزمان ييسر الله لنا بإخوة لنا فيه نتعاون علىٰ الخير نسأل الله أن يديم نعمه وفضله علينا، وأخيرًا أقول كما قال الشاعر:

إن تجـد عيبًـا فسـد الخلـلا ... جـل مـن لا عيـب فيـه وعـلا

فأنتم عدة الدنيا والآخرة ما وجدتم؛ كما قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة. ألا تسمع قول أهل النار ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ١٠١﴾ [الشعراء:١٠١][(١)]، وما وجدتم من نقص وعيب وخطأ، او زلل في الكتاب فأبلغوني لتعديله.

وكتبه:

أبو الحسن موسى بن ثابت بن محمد بن عبد الله بن علي المطري العتمي

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه.

وكان الفراغ منه في يوم الأربعاء/ ١٧/ صفر/ ١٤٤٦هـ في مدينة جدة.

---

(١) "الإحياء"٢/ ١٧٥.

فهرس

المقدمة ٥

الآيات الواردة في ذم السخرية ١٦

الأحاديث الواردة في ذم الاحتقار.. ٥٧

أقوال العلماء في الباب ١١٨

حكم احتقار الدين.. ١١٩

من علاج الكبر:.. ١٢٣

أسباب احتقار الآخرين:.. ١٢٥

نصيحة لطلاب العلم بعدم احتقار الآخرين:.. ١٣٠

ما يجب على طالب العلم أثناء دعوته ١٣٩

صاحب العلم الشرعي المخلص لا يتكبر: ١٤١

كيفية التخلص من احتقار الآخرين.. ١٤٢

كيفية اكتساب التواضع: ١٤٣

ما حكم السخرية بالصالحين بلفظ الجمع؟ وهل هذا التقسيم صحيح ١٤٦

هل تقليد القراء يُعتبر من السخرية؟.. ١٤٨

حكم من يسخر من اللحية؟.. ١٤٩

حكم من يقرأ الآيات وينزلها على صديقه مازحًا؟.. ١٤٩

حكم السخرية من الآخرين للمرح والضحك؟ ١٥٠

السخرية ممن يطبق الشريعة وتسميتهم بالوهابية : ١٥١

احتقار الدعوة : ١٥٣

حكم من يسخر من اللحية؟ ١٥٥

قصص في احتقار الناس ١٥٨

توهم البعض في أن الناس يحتقروه : ١٦٣

من مضار (السخرية) ١٦٧

الخاتمة ١٦٩

فهرس ١٧١

